غوث العباد ببيان الرشاد

تأليف

حضرة صاحب الفضيلة . ملاك البيان

وحامل لواء البرهان . الاستاذ الشيخ

ابو سيف

مصطفى الحمامي

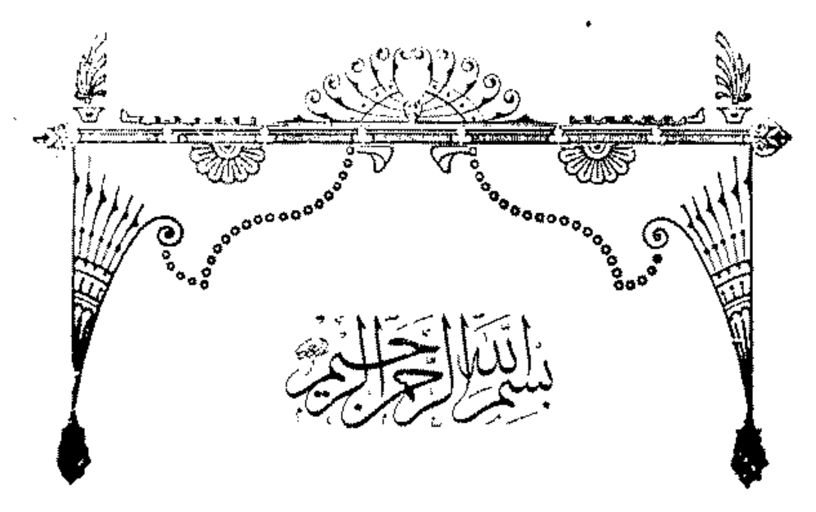
احد علماء الازهر الشريف

وخطيب المسجد الزينبي حفظه الله

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية

لاصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه

١٣٥٠ هـ



ياغياث المستغيثين . بأسباب وبغير أسباب . أحمدك لأنك أكرم الأكرمين. وأرجو رحمتك اذأنت الحليم التواب . وأشهد أن لااله سواك فانك الخلاق العليم . وعدم يا مولاى كل ما عداك لولاك . ولا استثناء من هذا الحكم العظيم . وأشهد منشرح القلب منطلق اللسان . أن أحبابك لهم عندك جاه كبير . من والاهم تواليه بجزيل الاحسان . ومن ناوأهم تهينه هنا وفي يوم المصير. أما بعد فلما كتبت مقدمة ديوانى الثالث « منتهى آمال الخطباء . ومنار المسترشدين النبلاء » استتبع الكلام فى بعض فصولها كلاما طال وطاب أبنت به حقائق لاتزال خفية لليوم على طوائف من الناس ــ رأى ذلك بعض قادة الأمة العلماء ــ لاحرم الله الوجود منهم — فسروا به وأثنوا عليه و بالغوا فى الثناء فقال فيه حضرة صاحب الفضيلة رجل العلم والتحقيق والصفاء ولسان الدفاع عن الاسلام اليوم الشيخ يوسف الدجوى أحد هيئة كبار العلماء بديارنا

المصرية أثناء تقريظه للديوان ما نصه « أما مقدمة الديوان فهى مقدمة تفوق المقاصد . أتى فيها من التحقيق ما يقمع كل مكابر . ومن الحق الصراح ماتنشرح بهالصدور . وتقر العيون . ومن السنة النبوية مايذعن له العلماء ويشهد له أساطين الكبراء » وقال فيه حضرة صاحب الفضيلة العالم الجليل شيخ العلماء بوادى الفرات الاستاذ البحاثة الكبير الشيخ محمد سعيد العرفى فى تقريظه لهذا الديوان مالفظه « ولكن لو دريت أنه أتى فى المقدمة بما بهر العقول من تبيان مجد الاسلام وعظمة مقام النبوة ورفعة أصحاب الكمال بأبلغ العبارات وأفصح الجمل وأرصن الكلم وأحسن الأساليب مدللا على ذلك بالحجج الناصعة والبراهين القاطعة بحيث لوقات يجب على كل طالب علم متمسك بدينه أن يطالعها ليغترف من بحرها الزاخر وعبابها الخضم ما جادلنى الاحسود مكابر أو جاهل متفيقه » الى آخر ماقال — وقال فيه حضرة صاحب الفضيلة العلامة الكبير والمحدث الشهير فخر الأقطار المغربية وخادم العلم بالحرمين الشريفين ونزيل مصر الآن الاستاذ الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى مايلى « أما مقدمةالديوان فلعظم مزيتها كادت تغنى عن ضخام المجلدات لما اشتملت عليه من جميل الصفات فى دقائق المعتقدات . فالأولى أن تجعل رسالة مستقلة . ليرد عذب حياضها أكابر العلماء الأجلة » — ان هذا الثناء على تلك المقدمة من أولئك القادة الهداة — جعلنى أفرح فرح

شكر له سبحانه وتعالى على أن أظهر على يدى ما جعل مثل الشيخ الشنقيطى ـ فى فضله ـ يستقل عليه أن يكون مورداً للعلماء الأجلة والذى يراه أن يكون ذلك حياضا عذبة يردها الأكابر من العلماء الأجلة .
وليس الشيخ الشنقيطى وحده الذى اقترح طبع ذلك الفصل من تلك المقدمة فى رسالة مستقلة بل وافقه عليه الكثير من أفاضل العلماء وشددوا على فى ذلك ليكون النفع بها أعم ـ فلم يسعنى الا النزول على ارادتهم والمبادرة الى تحقيق أمنيتهم ودعوتها « غوث العباد . ببيان الرشاد » ـ وقد تفضل هؤلاء العلماء الأجلاء فقرظوا تلك الرسالة تقريظا قليلا عليه أن يكتب بماء الذهب وأجزلوا فضلهم فيه على « بوسام » من الشرف منحونيه لم أسمع أن منحوه أحداً قبلى يعرفه من يرى ذلك التقريظ[1] ـ وهو شرف أتقبله شاكراً مولاى عليه ومعتبرا أن ذلك تشجيع من حضراتهم لى .

وبموافقتهم لى على ما تضمنته تلك المباحث أصبح ذلك أمراً مجمعًا عليه من علماء الاسلام ـ وهم أئمة الأمة وأدلاؤها فى دياجى المعضلات . وانى أسأل ربى ـ وهو أكرم مسئول ـ أن يتقبل ذلك منى وأن ينفع به عباده . وها أنا ذا أقدم بيد الاخلاص والأدب تلك المباحث لحضرات القراء الأفاضل ـ ولا ينتهى سرورى ان رأوها أهلا لأن ينظروا اليها والسلام

مصطفى أبو سيف
الحمامي

---

(١) هو تلقيبهم لفضيلته بذلك البيان اه مصححه

«حياة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى البرزخ»

« حياة حقيقية »

روي ابن ماجه عن أبى الدرداء أنه ﷺ قال «أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحداً لن يصلى علىّ الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء عليهم السلام» ووافق ابن ماجه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم فى رواية قوله ﷺ «ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء» . ومن هذا الوادى ما رواه ابن سعد والبزار بسند صحيح ورواه أيضاً القاضى اسماعيل والحارث فى مسنده وهو قوله ﷺ «حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم «أى تحدثون شئونا ويحدث لكم أحكامها» فاذا أنا مت كانت وفاتى خيراً لكم تعرض علىّ أعمالكم فان رأيت خيراً حمدت الله وان رأيت شرا استغفرت لكم» ـ فهذه أعمال أمة بأسرها صلاة عليه ﷺ كما يفهم من الحديث الأول وسواها كما يفهم من الحديث الثانى ـ أخبر ﷺ ـ وهو لا ينطق عن الهوى ـ أنها تعرض عليه يحمد الله لخيرها ويستغفره لشرها . ومن فى الدنيا له ذرة من العقل ينكر حياة من هذا حاله . ولا تفهم أن هذا العرض على الروح بل هو على البدن مع روحه من غير شك كما يفيده قوله عليه الصلاة والسلام «ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء»

جوابا لمن استبعد عرض العمل عليه ﷺ بعد الموت وسأله السؤال المار فاهما أن هذا العرض انما يكون عليه ﷺ وهو ببدنه و بدنه بعد الموت بلى وانتهى فأفهمه ﷺ أن أجسام الانبياء حية لاتبلى وهذا العرض عليه ببدنه ليقتلع من نفسه ذلك الاستبعاد ـ ويزيدك بصيرة فى حياة الانبياء فى قبورهم قوله ﷺ (الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون) رواه أبو يعلى والبيهقى وهذا حديث لم يقتصر على حياته هو ﷺ بل تعدى الى جميع الانبياء فحكم عليهم بأنهم أحياء فى قبورهم يفعلون فعل الأحياء فى الدنيا وهو الصلاة ذات الركوع والسجود والقيام والقعود والقراءة وذكر الله تعالى وهى أعمال لوشك شاك فى حياة فاعلها لكان شاكا فى حياة نفسه. وقد جاء هذا المعنى كذلك فى قوله ﷺ (مررت ليلة أسري بى على موسى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره) رواه ابن عساكر والطبرانى والنسائى وابن حبان وابن خزيمة ومسلم ولايتردد الناظر هنا فى أن الصلاة هى الصلاة ذات الركوع والسجود فان الشرع اذا أطلق الصلاة لايفهم منها الا ذلك المعنى وكذلك جاء هذا أيضاً فى قوله ﷺ (وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء) الى أن قال (واذا ابراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم) ـ يعنى نفسه ﷺ (فحانت الصلاة فأممتهم) الحديث . رواه مسلم من حديث الاسراء . وهذا الحديث يذكر شبه سيدنا ابراهيم وشبهه انما يكون ببدنه الحقيقى فدل ذلك قطعا على أنه

ﷺ صلى بهم اماما وهم بأبدانهم التى كانوا عليها فى الدنيا . وكذلك جاء ذكر وصف أجسامهم صلى الله عليهم جميعا وسلم فى قوله ﷺ (رأيت عيسى وموسى وابراهيم فأما عيسى فأحمر جعد (أى مجتمع الخلق شديده) عريض الصدر ـ وأما موسى فآدم (أي أسمر) جسيم سبط (حسن القد) كأنه من رجال الزط (صنف من السودان والهنود) وأما ابراهيم فانظروا الى صاحبكم) ـ يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم ـ فها هو ذا عليه الصلاة والسلام كما يصف بدن سيدنا عيسي الحى يصف بدن سيدنا موسى وسيدنا ابراهيم عليهم الصلاة والسلام المنتقلين من هذه الدار وهل يقال جسيم وحسن القد الا للحى بجسمه الحقيق الذى خلق به ـ وانى أزيدك يقينا بهذا المعنى وأذهب بك فى حياة الانبياء الى أبعد ما سمعت فقد روى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال (كأنى أنظر الى موسى فى هذا الوادي محرما بين قطوانيتين) « القطوانية العباءة البيضاء المنسوبة الى قطوان بلدة بالعراق » وروى ابن ماجه وأحمد ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال (كأنى أنظر الى موسى هابطا من الثنية (مكان مرتفع) وله جؤار (صوت مرتفع) الى الله تعالى بالتلبية كأنى أنظر الى يونس بن متى على ناقة حمراء جعدة (مجتمعة الخلق شديدته) عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة (ليف) مارا بهذا الوادى ملبيا) وهذا الحديث وما قبله يثبتان أن الانبياء صلى الله عليهم وسلم يخرجون من قبورهم بأبدانهم الحقيقية

لابسين الثياب ماشين أوراكبين ويذهبون الى حيث يحجون ويلبون ويراهم بعينه من كشف الله عن بصيرته من العباد . وأنت لاتشك في أن سيدنا موسى وسيدنا يونس انتقلا الى الرفيق الأعلى قبل أن يوجد النبي صلى الله عليه وسلم بدهور واذن فلا شك أن نظره اليهما وهما ذاهبان الى الحج يلبيان ـ انما كان وهما في عالم البرزخ ـ كل هذا نقوله اذا كان ماتروى كلاما موضوعا وضعاً عربياً وعلى قواعد الوضع العربي تفهمه العقول ـ وليس هناك استحالة عقلية أوشرعية تمنع من فهمه على ظاهره ـ وانا بعد أن نفهمه هكذا لانستطيع أن نتردد في حياة الأنبياء في قبورهم الحياة الحقيقية التي يفعلون معها ما يفعله أقوياء الرجال فان السفر الى الحج ليس من الأمور التي يستطيع فعلها كل حي وانا اذا ترددنا في ذلك فقد وقفنا أمام كلام الرسول صلى الله عليه وسلم موقف التكذيب وهوموقف لايقوى عليه ذو دين خصوصا اذالاحظنا ماقرره العلماء من أن العدول عن ظواهر النصوص من غير مقتض قاطع ـ الى معان يدعيها أهل الباطن الحاد وكفر ـ وهذا حديث المعراج ـ وهو متفق عليه ـ يصرح أنه صلى الله عليه وسلم رأى في السماوات جماعة من الانبياء سيدنا آدم وسيدنا ابراهيم وسيدنا يوسف وسيدنا موسى وسيدنا هرون وسيدنا يحيى وسيدنا عيسى عليهم الصلاة والسلام وكلمه كل واحد منهم بما كلمه . ونحن ـ معشر الأمة المحمدية لليوم والى انقضاء الدنيا نتمتع براحة ماأجلها

وماأعظمها لولا سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم مارأيناها ولكنا فى شقاء يومى طول حياتنا بأداء خمسين صلاة فرضها علينا ربنا عزوجل فى اليوم وبلغها لنبينا صلى الله عليه وسلم فأشار اليه هذا الوجيه الكليم أن يسأل ربه التخفيف عن أمته فسأله ثم سأله حتى جعلها الكريم الرحيم خمسا فقط ــ كما أنا لليوم و بعداليوم نذكر ربنا بقول سبحان الله والحمد لله الخ امتثالا لوصية سيدنا ابراهيم الخليل التى وصلت الينا فى قول نبينا ﷺ (رأيت ابراهيم ليلة أسري بى فقال يامحمد أقرئ أمتك السلام (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ياخليل الرحمن وصلى الله وسلم وبارك عليك وعلي آلك) وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان (أماكن ممهدة واسعة) وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله) رواه الطبرانى ــ وهل تشك فى أن النبى ﷺ اذا قال رأيت فلانا وفلانا يقظة فانما يريد أنه رآهم صلى الله عليهم وسلم بأشخاصهم وأرواحهم خصوصا اذا كلموه وروى عنهم مثل ماسمعت ــ وعالم البرزخ تغلب فيه أحكام الأرواح على أحكام الأشباح فليس بغريب حينئذ أن يرى ﷺ سيدنا موسى فى تلك الليلة فى قبره يصلى ويراه فى السماوات. والأرواح ليس ببعيد عليها أن ترقى السماوات فى قليل من الزمن بلاسبب ترقى عليه كالملائكة تماما ــ وأظنك بعد هذا البيان أصبحت وحياة الانبياء فى قبورهم عندك من الأمور البديهية ــ غير أنى أرجو أن لاتنسى مع ذلك كله أن

الأنبياء فى عالم البرزخ الآن فلا تقل اذا كانوا أحياء فلماذا لا نراهم يذهبون بيننا ويجيئون كما كانوا فى الدنيا فان لعالم البرزخ أحكامه كما لا يخفى على فطنتك ـ أن هذا الذى نشرحه الآن ليس معنى انفردنا نحن بالقول به بل يشاركنا فى تقريره واعتقاده علماء الاسلام متقدموهم ومتأخروهم ولم ننقل عن أحد منهم ما يؤيدنا لأنا وجدنا صرائح من قول رسول الله ﷺ تؤيدنا كما سمعت. وليس من اللياقة فى شىء أن يلتفت الى الناس من معه رسول الله ﷺ . ولقد كان هذا المعنى من الاوليات فى عصر النبوة أيام أن كانت العقائد تتلقى غضة طرية من مهبط الوحى ﷺ وكانت القلوب اذ ذاك فى منتهى صحتها لم يطرأ عليها من أمراض الشبهات والشكوك شىء وان شئت فاسمع ما تقوله أمنا الجليلة السيدة عائشة رضى الله عنها « كنت أدخل بيتى الذى فيه رسول الله ﷺ وانى واضع (التذكير باعتبار أنها شخص) ثوبى وأقول انما هو زوجى وأبى فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت الا وأنا مشدودة على ثيابى حياء من عمر » رواه أحمد ـ وهو تقرير منها واضح جدا أنه ﷺ بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى لا يزال زوجها لا حرج عليها أن يرى منها مالا يراه الأجنبى وهو لا يكون كذلك الا اذا كان حيا حياة حقيقية . وهذا يؤيد ما صرح به بعض العلماء من أن نساءه ﷺ ما كن فى عدة منه ﷺ عقب انتقاله من هذه الدار بل كان نكاحهن لا يزال قائما بينه وبينهن ومن أجل

هذا حرم على غيره ﷺ أن ينكحهن رضى الله عنهن . ومما يدل دلالة واضحة على حياة الانبياء صلى الله عليهم وسلم بعد انتقالهم من الدنيا أن المال الذى يتركونه لا يورث عنهم وانما يكون صدقة من الصدقات كما يتصدق الحى بماله ولو كانوا أمواتا لكانت تركتهم كسائر تركات الاموات تورث عنهم لوارثيهم . وانى ألفت نظر القارئ الى تحفظ السيدة عائشة رضى الله عنها بالتستر البالغ اذا أرادت الدخول على زوجها وأبيها لما دفن معهما سيدنا عمر رضى الله عنه حياء منه فان ذلك يفهمنا أنها لا تشك فى أن سيدنا عمر يراها كما أنها لا تشك فى أن والدها يراها ولكنها ما كانت تتحفظ منه بذلك التستر لانه أبوها يجوز له أن يرى من بدنها ما ينكشف اذا ألقت ثيابها التى تستتر بها من الأجانب . وهذا الذى تصرح به هذه السيدة الجليلة لم تخترعه من نفسها بل صرح به رسول الله ﷺ فى قوله (وما أبالى قضيت حاجتى على القبور أو فى السوق والناس ينظرون) رواه ابن ماجه من حديث وهو خبر نبوى يفهم فى وضوح أن الأموات يرون ما يفعل عندهم كما يري الاحياء بلا تفاوت ولذلك لم يفرق ﷺ بين من يقضى حاجته عندهم وبين من يقضيها فى السوق مجتمع الناس وهم ينظرون اليه – فى أنه يرى لهؤلاء كما يرى لهؤلاء وهو منكشف العورة وحينئذ لا يجوز ذلك عند الاموات كما لا يجوز أمام الاحياء – وانى آخذ بيدك الى حيث أريك أكثر من هذا أريك ان أفراد

المؤمنين الذين ليسوا برسل ولا أنبياء ولا أولياء اذا زارهم زائر وسلم عليهم ردوا عليه السلام فوق رؤيتهم له ـ وان استغربت هذا فاسمع الدليل روى مسلم أنه ﷺ كان يعلم الصحابة اذا خرجوا الى زيارة أهل المقابر أن يقولوا لهم «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات وانا ان شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية» فهل يأمر النبي ﷺ أن يسلم الناس على من لايسمع ولا يرد أظن أن ذلك تقشعر منه جلود المؤمنين بحكمة ربنا عز وجل ـ بل الأمر فى طبقات المؤمنين فوق ما رويت لك فقد روى الترمذى والحاكم وابن مردويه وابن نصر والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنه ـ أن بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر انسان فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر ـ وهل يبقى من شك فى حياة امرئ يقرأ القرآن يعبد الله تعالى بصوت مرتفع به لدرجة أن يسمعه من بينه وبينه حائل عظيم من أتربة وأحجار ـ الا أنه ينبغى أن يعلم أن هذه الحياة لاتبلغ درجة حياة الأنبياء . بل الشهداء فى سمو مقامهم لا تبلغ درجة حياتهم درجة حياة الأنبياء وان كان القرآن يخبر عنهم أنهم أحياء يرزقون و يفرحون و يستبشرون فانه ليس بمعقول أن يبلغ فرد من أفراد

أمة أيا كان مركزه سموا وكمالا عند ربه – المبلغ الذى بلغه رسوله – بل لأكثر من كل ما سبق أذهب بك فقد روى البخارى عن أبى طلحة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قام على شفة الركية (البئر التى لم تطو) فجعل يناديهم بأسمائهم (قتلى بدر الكفار الذين ألقوا فى تلك البئر) يافلان ابن فلان وفلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر ما تكلم من أجساد لا أرواح لها فقال رسول الله ﷺ والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم – فها هو ذا رسول الله ﷺ يخبر مؤكدا بالقسم أن الأحياء الموجودين معه فى الدنيا لا يزيدون عن أولئك القتلى الكفار فى سماع كلامه ﷺ . وانى أحب أن يهون القارئ على نفسه ولا يستغرب عند سماع هذا فى حق الكفار فانه يعلم حق العلم أن البدن ممن تموت أبدانهم بعد الانتقال من هذه الدار هو الذى يموت بانقطاع الصلة بينه وبين روحه الذى كان يدبره ويحركه أما الأرواح فباقية بعد الموت كما كانت فى الدنيا قطعا والأرواح فى الحقيقة هى العاقلة المكلفة الفاهمة التى كانت تسمع فى الدنيا الأسئلة التى توجه الى الانسان وترد عليها وهى هى عين الانسان وهذا البدن آلتها التى تسخرها فيما تريد من أعمال واذا كانت الأرواح التى هذا قدرها باقية بعد الموت كما كانت فى الدنيا فأى غرابة فى سماعها ما يوجه اليها من كلام بعد أن تموت

أبدانها ولو كانت أرواح كفار ـ بل أرواح المؤمنين تزيد صفاء وكمالا بعد موت أبدانها عما كانت قبل ذلك الموت فانها في الدنيا كانت مقيدة بهذا البدن الظلماني الكثيف تقيدا عظيما بتدبيرها وتصريفها لشئونه في كل حال وبعد الموت انقطع ذلك التعلق العظيم وأصبحت مطلقة اطلاقا لايعلم قدره الا الله عزوجل ولهذا ينبغي أن تعلم أنها تجول في هذه العوالم باذن ربها فتأمر مناما بمصالح وتنهى عن مضار وتبشر بمحاب وتنذر بمكاره وتأخذ وتعطي وتدعو الله تعالى وتعلم علوما وتخبر عن غيوب مستقبلة وهي اذا قالت شيئا كان حقا ما تقول فانها في عالم لا يعرف الكذب وكم حمد الله تعالى من أطاعها فيما تشير اليه وكم ندم من خالفها وكم وصل من خير لعباد الله تعالى الأحياء من طريقها وكم وصل من شر والفاعل في الكل رب الجميع وهو المسخر لها في كل حركاتها الآذن لها أن تقول ما تقول وتفعل ما تفعل ـ كل هذا أقوله ـ وبراهينه كما ترى قوة واتجاهاً ـ وأنا أعلم أن بيننا فريقا تقع منهم هذه الحقائق موقعا غريباً وأليما ولا يكادون يصدقونها ـ ولعلك تقول وماذا يفعلون في هذه الحجج اليقينية التي تسوقها فأقول لك انك يا أخي كأنك لم تكن في الدنيا ـ لتعلم أيها الفاضل أن الفريق الذي نشير اليه لاقيمة للحجة عنده اذا كانت من السنة كأن السنة نسخت في هذا الزمان ـ نعم لقد وصلوا في الاستخفاف بالسنة النبوية التي لولاها ما كان لنا دين ـ الى حد

لايكاد يصدقه المؤمن وماذا عسى أن تنتظر فى الاستخفاف بها بعد أن تسمع أحد هؤلاء يصرح فى غير خجل أن بنتا صغيرة خادما أصدق من رواة البخارى الذى يعده علماء الاسلام أصح كتاب فى السنة ـ لاتفزع أيها الأخ واعلم أن هذا الفريق الذي حاله ماذكر وصل أمره الى أكثر مما نقول فقد طبع فى العام المنصرم عام (١٣٤٩ ه) تفسير لواحد من هذا الفريق بتشجيع من اخوانه ومساعدة كبيرة ـ هذا التفسير لكلام الله وهو ينكر كلام الله انكاراً صريحاً بصرف كثير من عباراته الكريمة الى معان لايدل عليها الوضع العربى الذى به نزل هذا الكتاب الحكيم و بذلك أنكر حقائق انكارها كفر صريح وقامت له الأمة وقعدت وكان أول خطوة معه أن صودرت نسخه لئلا تصل الى أيدي الناس ومنهم الجاهل الذى لايميز صوابا من خطأ وهذا المفسر الجديد لم يزد علي أن أضاف على فريق الباطنية واحداً وأصبح بين الأمة كالمجذوم يفر منه كل من وقعت عينه عليه وسيرى عاقبة ذلك فى يوم يشيب الولدان ـ ومع كون ذلك الفريق بتلك الدرجة التى نحكيها مع الحجج النبوية تراه اذا عثر على شبه حجة له على معنى يعتقده تجده يتشبث بها تشبثه بروحه مع أنها من السنة التى لاقيمة لها عنده ولكنها الأهواء تفعل أكثر من ذلك ـ كما يتشبث بقوله صلى الله عليه وسلم « اذامات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أوعلم ينتفع به أوولدصالح

يدعوله » يحتج هؤلاء الناس بهذا الحديث على أن الانسان متى مات فلا عمل له أصلا وهو خطأ قبيح فان الحديث الكريم يتكلم عن الأعمال التكليفية التى تزداد بها الحسنات والسيآت فأفادنا أن العمل الذي هذا حاله ينقطع عن الميت بمجرد موته ومعقول هذا الانقطاع فان الحسنات والسيآت فى دار العمل ودار العمل الدنيا والميت قد انتقل من الدنيا ـ غير أن الحديث استثنى الأعمال الصالحة التى يبقى نفعها فى الدنيا للأحياء بعد موت العامل فأخبر أنها مادامت منتفعا بها فالعامل فى ازدياد من الثواب وان كان فى قبره ـ وبما أن الكلام فى الأعمال التى بها مزيد الثواب مثل صلى الله عليه وسلم بالأمثلة المذكورة وهذا معنى واضح لا يتوقف فيه عاقل ـ اما الأعمال التكوينية فالأمر فيها بالنسبة للأموات كما قررنا ـ ولعلنا لانبعد عن الواقع اذا قلنا ان من النادر أن نجد انسانا ليس له واقعة أو وقائع منامية مع أناس ماتوا من زمن بعيد أو قريب حاورهم فيها وحاوروه وكان منهم له مايسره أولا يسره من أقوال أو أفعال يحكيها بعد أن يقوم من منامه وتقع أو تكون واقعة كما قالوا ـ وانا ننقل هنا مثالا لاشك فى صحته ـ فى البخاري مختصراً والطبرانى مطولا عن أنس قال لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس ألا ترى ياعم ـ ووجدته يتحنط ـ فقال ماهكذا كنا نقاتل معرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بئس ماعودتم أقرانكم اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء

وماصنع هؤلاء ثم قاتل حتى قتل وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل مسلم فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت فى منامه فقال انى أوصيك بوصية اياك أن تقول هذا حلم فتضيعه انى لما قتلت أخذ درعى فلان ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس تستن (أي تذهب وتجيء عدوا فى نشاط ومرح ولا راكب عليها) وقد كفئ على الدرع برمة وفوقها رحل فأت خالدا فمره فليأخذها وليقل لأبي بكر ان على من الدين كذا وكذا وفلان عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته. هذا لفظ ابن حجر فى الاصابة فى ترجمة ثابت ابن قيس - فهذا رجل ميت يغضب على تركته أن يأخذها غير وارثه فيأمر من يذهب الى قائد الجيش يخبره بمكانها ليردها الى ورثته ولما سمع هذا القائد ذلك (بعث الى الدرع فأتى بها) ثم أمر هذا القائد أن يخبر خليفة رسول الله ﷺ بما عليه من الدين ليؤدى عنه ليستريح من ناحيته وحتى لايندم رب الدين على ضياع ماله بموت المدين - وأن يخبره بوصيته بعتق غلامه لينفذ هذه الوصية بماله من السلطة العامة وليكون هو قام بمكافأة ذلك الغلام على طول خدمته له فى حياته فنفذ أبو بكر رضى الله عنه ذلك. وانظر لما ذهب الى الرائى كيف شدد عليه أن يبلغ مايوصيه به وأفهمه أن الأمر جد لاهزل وحق لاباطل ليقتلع من نفسه التردد الذي يقع فى النفوس فى بعض ما ترى

فى المنام ـ وانظر كيف يصف المكان الذي به الدرع على مبالغة آخذها فى اخفائها ـ وانظر كيف فطن هو وحده لذلك الآخذ مع أنه ميت ولم يفطن له الأحياء المحيطون به من كل مكان ـ فمن بعد هذا ينكر أو يتردد أو تخطر له شبهة فى أن الميت بعد موته يعمل ويقول وهل عقيدة أن الميت لا يقول بعد موته ولا يفعل الا عقيـدة من يئسوا من أصحاب القبور ـ واذا أحطت علما بهذا كله علمت أن الأمر عادي صرف فى مخاطبة الانبياء والأولياء وجميع المؤمنين بل والكافرين بعد موتهم المخاطبة التى لا تقل عن مخاطبتهم وهم أحياء فى الدنيا فان الميت يسمع ويفهم فمن خاطبه خاطب سميعا فاهما ـ وعلمت أن من يحكمون بالشرك على من يخاطب ولياً أو نبيا بعد انتقاله من هذه الحياة بعدوا عن الحق بعد الحق عن الباطل وبرهنوا بذلك على أنهم لم يكلفوا خاطرهم بالنظر فى دين الله حتى وصلوا فى الجهل به الى درجة أن تخفى عليهم تلك الحقيقة الواضحة

هل للأنبياء والأولياء وجاهة عند ربنا

شئ من وجاهة الانبياء

ليعذرنى القارئ الفاضل فى هذه الترجمة ثم الاستدلال عليها فان ذلك وان كان بديهيا عنـده ـ منـكر عند قوم الى حد لا حد له وانا نـكتب مانـكتب نرجو أن ينتهى أولئك القوم به وان لم ينتفعوا ـ وذلك أكبر الظن بهم ـ فالدنيا مملوءة والحمد لله بمن ينتفع به من المؤمنين الصادقين ـ

قال ربنا عزوجل فى سيدنا موسى الكليم ـ وكان عندالله وجيها ـ وقال فى سيدناعيسي ـ وجيها في الدنيا والآخرة ـ هذا كلام ربنا وليس بعد كلام ربنا كلام لأنه الخالق العالم بما عليه خلقه فاذا ذكر حقيقة وردها أحد كان ذلك ردة من ذلك الراد ـ ذلك لانزاع فيه ـ وما ذكر من كلامه تعالى يقرر فى وضوح أن لربنا عبيداً لهم عنده وجاهة وأن سيدنا موسى وسيدنا عيسى صلى الله عليهما وعلى جميع الانبياء وسلم ـ من أولئك الوجهاء ـ ومعنى هذه الوجاهة عنده تعالى لمن جعلها لهم ـ المنزلة الرفيعة التى بها يتولى شئونهم توليا خاصاً ويعاملهم كما نعامل نحن الوجهاء عندنا فكما لانرد نحن طلب الوجهاء عندنا اجلالا لهم واحتراما لمنزلتهم الرفيعة عندنا ـ كذلك هو تعالى لايرد طلب الوجيه عنده الا لحكمة هو يعلمها وان اختلف المقتضى للاجابة عندنا وعنده تعالى ـ وانا نحب كثيراً أن يسمع لنا القارئ الكريم لنقص عليه شيأ من آثار وجاهة الانبياء صلى الله وسلم عليهم ـ عنده تعالى ليزداد إيمانا بها على إيمانه فنقول ـ مكث العبد الشكور سيدنا نوح رسول الله ﷺ فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الحق ليلا ونهاراً سراً وجهاراً ويلاقي منهم فى سبيل تلك الدعوة مايلاقى من أصناف الايذاء ولم يثنه ذلك عن القيام بما كلف به ـ ولما يئس من هدايتهم قال ما حكى عنه ربنا (﴿ انى مغلوب فانتصر)
﴾ كلمات حرك بها لسانه هذا العبد الكريم أتعرف أيها القاري

ماذا كان أثرها ـ لقد كان ماقال مولاه عز وجل (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا) ـ هيج تعالى السماء لدعوة ذلك العبد الجليل فأفرغت ماءها ينهمر انهماراً وهيج الأرض فقذفت ماءها يتفجر تفجراً ـ وبالضرورة كان الجو اذ ذاك فى منتهى العبوسة والغضب ولما التقى ماء السماء بماء الأرض كان منهما طوفان عظيم غمر كل الأرض وفي هذا الهول الذي تنخلع له القلوب فزعا أغرق تعالى كل من على وجه الأرض من الكفار الذين تغير منهم قلب سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام ودعا عليهم بتلك الكلمات ـ ولعلك تقول وماذا جرى لهذا الرسول ومن آمن معه فى ذلك الهول الذى يشيب الولدان وهل طار عليهم من رشاش ذلك الطوفان شىء أو أحست قلوبهم بذرة من ذلك الفزع المذهل ـ فأقول لك ما كان من ذلك شىء مع أنهم فى سفينة تجرى بهم فى موج كالجبال وكيف يكون ذلك والقدير الرحيم يقول فى تلك السفينة (تجري بأعيننا) وهل يخشى شيأ من يسير محروسا بعينه تعالى التى لاتنام محوطا بحفظه الذى لايمس ـ فليقل لى القارئ وليفتنى فى مبلغ هذه الوجاهة التى تغضب فيغضب الله وتغضب السماوات وتغضب الأرض ويغضب الجو ولايهدأ هذا الغضب حتى يكون ما تريد من تغير وجه البسيطة كلها واهلاك كل من عليها من الكفار ـ وكسر سيدنا ابراهيم خليل الرحمن ﷺ ـ

الأصنام التى كان يعبدها الوثنيون الذين كانوا يعاصرونه وأنت تعرف أن مس العقيدة بأى شئ مظنة انفجار براكين الغضب فكيف اذا طعن فيها و وصل الطعن الى درجة أن مس الالوهية لابل تعدي ذلك الى التعدي بالتكسير والتهشيم لنفس الآلهة التى تعبد و يعتقد فيها أنها تنفع وتضر - لذلك لم يكن له عليه الصلاة والسلام جزاء عند أولئك الوثنيين الا قتله ﷺ وليس هذا القتل مطلق قتل بل آلم القتل وأشده وهو الاحراق بالنار التى أججت ثم أججت والقى فيها - وهل يدري القارئ ماذا فعل به ربه وهو تعالى يعلم أنه ماأقدم على ماأقدم عليه الا غيرة منه على مقامه الاسمي أن يشارك فى العبادة - لقد كان أن قال عزوجل للنار وهو ربها - كوني بردا وسلاما على ابراهيم - ان اسم ابراهيم فى هذا المقام لاتشبع أذن العقل أبداً من سماع حلاوته - وهل تدرى ماذا كان من النار - كان منها أن صدعت بما أراده منها ربها ولم تمس هذا الخليل بأدنى ضرر - فماذا يري القارئ فى تقدير هذه الوجاهة التى بلاسؤال بل مع رفض السؤال كما ورد - سلب لها رب السماوات والأرض خاصة هذا العنصر المحرق وجعله عليها برداً وسلاماً فكان صلى الله عليه وسلم فى وسط النار الملتهبة وهو يشعر بهذا البرد اللطيف - ولاتظن أن هذا - على فخامته - كل ما كافأ ربنا به خليله لاتظن ذلك واعلم أنه ما حيي حي بعد هذا العبد الغيور على مولاه الا وبه حيي لهذا اليوم والى أن تنقضي الدنيا فانه لم يبعث نبي بعده صلى الله

عليه وسلم الا وهومن ذريته ولم ينزل بعده كتاب من السماء الاوعلى ولد من أولاده أنزل كما يقول تعالى (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) اذن لم يؤمن انسان بعد سيدنا ابراهيم الاعلى يد ولد من أولاده ـ ومعروف أن ربنا عزوجل جعل الشرائع أرواحا للخلق كما يقول عزوجل (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) فمن آمن بهذه الشرائع حيي ومن لم يؤمن بها كان ميتا ولقد صرح تعالى بذلك في قوله الكريم (أومن كان ميتا فأحييناه) وقوله (وما يستوى الاحياء ولا الأموات) وغير ذلك كثير فى كلام الله تعالى ـ فكأن ربنا الشكور يقول لهذا الخليل العظيم أنت قدمت حياتك في سبيلنا وسخوت بها عن طيب خاطر ولم تلتفت لها واستهنت بالموت غيرة علينا واجلالا لنا فكان جزاؤك عندنا أن حلنا نحن بينك وبين ذلك الموت مكافأة لك على هذا الاخلاص البالغ وخرقنا عادتنا في ملكنا من أجلك فجعلنا الجسم المحرق برداً وسلاماً عليك وليس ذلك فقط كل جزائك عندنا بل جعلنا كل من يحيا فى ملكنا فى حياتك وبعد مماتك الى قيام الساعة انما بك يحيا ـ هذا جزاؤك عندنا في الدنيا التى ليست بدار جزاء ـ وجاه هذا أثره عند ربنا عزوجل انما يعلم قدره ربنا فقط وأما نحن فلا يسعنا أمامه الا طأطأة الرأس والسكوت التام ـ ويئس سيدنا موسي رسول الله صلي الله عليه وسلم العبد الكليم الوجيه الذي اصطنعه ربنا لنفسه ـ من هداية فرعون وقومه فأوحي اليه مولاه

أن يخرج بمن آمن به من مصر ليلا وأخبره أن سيتبعه فرعون وجنوده لقضاء قضاه فيهم فخرج صلى الله عليه وسلم بمن اتبعه وصدقه كما أمر ـ ولما علم بذلك فرعون جمع من قومه ما جمع وخرج وراءهم فلما دنا منهم ورأوه بجموعه قلقوا وقالوا لسيدنا موسي صلى الله عليه وسلم « انا لمدركون » يعنون أنا ميتون ولا بد بيد هذا الطاغية الجبار وجيوشه هذه الكثيرة القوية فطمأنهم صلى الله عليه وسلم بأعظم أنواع المطمئنات اذ قال لهم « كلا ان معى ربى سيهدين » هكذا حكي ربنا عزوجل عنهم وعنه صلى الله عليه وسلم وعليهم يريد سيدنا موسى أن يقول لهم ان ظننتم أن فرعون وقومه أقوياء يفتكون بنا فاعلموا العلم الذى لاشك معه أن معى خالق فرعون وقومه القادر على أن يزيل كل هذا الوجود سماواته وأرضه فى لمحة واذا كان معنا هذا القادر العظيم فلا بد أن يكفيناعدونا و يرشدنا الى مابه نجاتنا منه واذن دعوا هذا الخوف واطمئنوا كل الاطمئنان ـ وهل تعرف ماذا كان بعد ذلك ـ كان أن هداه ربه الى نجاته ونجاة قومه كما قال عليه الصلاة والسلام لهم فانه تعالى أمره أن يضرب بعصاه البحر ففعل كما أمر فانفلق البحر الماء السائل وصار شوارع يرونها بأعينهم وهو من كل ناحية من نواحى هذه الشوارع متماسك جامد شاهق متين لا كمتانة المباني التى يبنيها البشر بل كالجبل الشامخ العظيم الذى بناه القوى المتين وحينئذ فرحوا وأقبلوا على تلك الشوارع يسيرون فيها آمنين مطمئنين حتى

انتهوا الى الشاطئ الثاني ولما وصل فرعون الى البحر ووجده بهذه الحالة اقتحمه هو وقومه فلما صاروا فيه انساب عليهم وانطبق على بعضه كما كان فأغرقهم أجمعين وسيدنا موسى وقومه ينظرون ـ وماذا عسى أن يقول القائلون في تقدير الوجاهة التي هذا قدر عمل الخالق على رضاها ان الألسنة هنا لتخرسها الهيبة ويعقلها هذا الجلال ـ وهذا سيدنا داود الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم خليفة لله في أرضه الذى يقول فيه خالقه (نعم العبد) ـ وصل من جاهه عنده سبحانه وتعالى أن جعله صلى الله عليه وسلم يعمل في الحديد مالا تعمله النار الملتهبة والمطارق الثقيلة القوية ـ جعله يتناول ذلك الحديد بيده اللحم والعظم والعروق فيفصل منه ـ وهو الحديد ـ كما يشاء من الدروع وسواها بغاية اليسر والسهولة والسرعة كأنه في يده قماش في يدنا أو ألين ـ ولا تعجب أيها القارئ فان سيدنا داود هذا هو الذى سخر له ربه الطيور التى لا تعقل بل والجبال الجمادات فجعلها تفهم تسبيحه حينما يسبح فتأخذ هى في التسبيح كذلك مشاركة له عليه الصلاة والسلام ويفهم هو منها هذا التسبيح ـ ان الجاه الذى يعمل له ربنا كل هذا جاه ليس له حد ـ لقد أجزل ربنا النعمة على هؤلاء الناس فاني لا أجد عبارة تفي بشرح قدر اللذة التى كان يشعر بها سيدنا داود وهو يسمع الطيور والجبال تسبح بتسبيحه ولا يمكنني أن أصف مايقوم به من الفرح بنعمة ربه وهو بتلك الحال أو وهو يرى الحديد

في يده ينفعل له كما يشاء عليه الصلاة والسلام ـ أما سيدنا سليمان الرسول الكريم فعجيب والله جاهه عند ربه ثم عجيب كيف لا وربه لم يرض له أن يسير الى مقاصده في الأرض التى جعلها تعالى مكانا لسير الخلق بل جعل تعالى طريقه الى مايريد الجو كأبى تعالى أن يجعل مراكبه دواب يسير عليها بل جعل دابته الريح تسير به في الغدوة مسافات تستغرق شهراً كاملا بالسير المعتاد وكذلك تسير به في الروحة وهو بالخيار معها بين أن يجعلها رخاء هينة لينة كما تتساهل مع دابتك فتتركها تمشي الهوينا وبين أن يجعلها عاصفة شديدة كما تحمل دابتك على السير السريع ـ وليس هذا كل آثار جاهه عند ربه تعالى بل من تلك الآثار أن جعله تعالى حاكما على الجن مطاعا فيهم يحبس منهم من يحبس لتمرده وافساده ويطلق من يطلق يعملون له ما يشاء ومن تلكأ منهم و زاغ عن أمره أذاقه الله العذاب الأليم ـ بل من آثار ذلك الجاه أن جعل تعالى له الطير تحت أمره يسخره كما يشاء ووهبه فهم منطقه يحاوره ويتفاهم معه كما يتفاهم مع بنى آدم ـ فقل لى بربك أي جاه هذا الجاه الذي جعل الله تعالى له الجن والانس والطير مسخرين له يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ومع ذلك يقول له تعالى (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أى هذا الملك العظيم وهذا العطاء المعدوم النظير لاحساب عليك فيه وان أمسكته ولم تعط منه شيأ لأحد أنت مطلق التصرف فيه لاحجر عليك في اعطاء

ولاذم عليك في منع ومن أجل هذا كان ملكا لاينبغي لأحد من بعده عليه الصلاة والسلام ـ أما سيدنا عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ـ فكان في جاهه عند ربه آية كما أن خلقه آية ـ كان صلى الله عليه وسلم اذا لمس بيده الشريفة مريضاً عوفي من مرضه مهما كان ذلك المرض ولو عمي أو برصاً ـ ولاتستكثر هذا عليه صلى الله عليه وسلم فانه كان ـ فوق هذا ـ اذا نادى ميتا أن يحيا حيي باذن الله عزوجل ـ ولعل ذلك يقع عندك موقع الغرابة ـ لاتستغرب واعلم أن مولاه مكنه ـ فوق هذا ـ من مدهش ـ مكنه من أن يصور القطعة من الطين كهيئة الطير فينفخ في تلك القطعة فتكون طيراً حقيقة باذن الله ـ وأظنك تسارع عند هذا الى قولك هذا مظهر من مظاهر الخلق والابداع والاختراع فأقول لك الى هذا الحد وصل جاه سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام عند ربه ـ ولكن لايخفي عليّ فطنتك أن الفاعل هو ربنا عزوجل وهذه المظاهر أسباب فقط لخلقه تعالى ـ وأما سيد العالمين حضرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فليس في خلق الله من يدانيه في وجاهته عند ربه وكيف يداني من يقول له تعالى (وماأرسلناك الا رحمة للعالمين) ولفظ العالمين معلوم أنه يشمل كل ماعداه سبحانه وتعالى واذا كان صلى الله عليه وسلم رحمة لكل الخلق فكيف يكون فيهم من يدانيه في منزلته عند مولاه عزوجل ـ وماذا يقول ملوك البيان في تقدير هذ الجاه العظيم ـ وما ذا عسى أن يصف البيان فيمن

يخاطبه تعالى بقوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) مع أنهم الذين يحكى عنهم تعالى قولهم (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب اليم) فجاه يحمى وجوده حتى الكفار الذين يستهزئون بالدين وبمن جاء بالدين جاه تقف عنده الألباب والأقلام والألسنة حيرى لاتبدي ولاتعيد ـ ويزيدك علما بمبلغ عظم هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ومقدار جاهه عند مولاه تعالى غيرته عزوجل عليه ـ الغيرة التى تحرم تحريما قاطعاً أن يتقدم أحد عليه صلى الله عليه وسلم في شئ وتوجب على الكافة أن يكونوا تابعين له في كل شئ لتكون كل حركة من حركاتهم مذكرة لهم ما يجب له ﷺ عليهم من التوقير والاحترام وما يجب أن يكونوا عليه هم من التبعية المطلقة له عليه الصلاة والسلام ـ الغيرة التى تجعل رفع الصوت فوق صوته قرينة الردة فى احباط جميع أعمال من يرفع صوته فوق صوته صلى الله عليه وسلم ـ الغيرة التى تجرد من العقل قوما نادوه وهو في احدي حجراته صلى الله عليه وسلم ليخرج اليهم أفهمتهم هذه الغيرة الالهية أن ذلك فيه تكليف لخاطره عليه الصلاة والسلام والذي يقتضيه العقل السليم أنهم كانوا ينتظرونه حتى يخرج هو اليهم من تلقاء نفسه ـ ومن أعطى هذه الحقائق حقها من النظر عرف حق المعرفة من هو عليه الصلاة والسلام ـ الغيرة التى حتمت على كل من يريد الكلام معه صلى الله عليه وسلم أن لا يتقدم الى ذلك

الا بعد أن يقدم بين يدي ذلك صدقة وانى لا أرى توجيه هذا بأي تعليل مقللا من شأنه ومحددا لعظمته ثم نسخ تعالى هذا تخفيفا ورحمة بالفقراء ولكن هذا النسخ لايمكن أن ينسخ ماوقر فى النفوس له صلي الله عليه وسلم من التوقير والتعظيم الذي أحدثه الحكم المنسوخ - ولما انه صلى الله عليه وسلم بهذا القدر الكبير عند ربه استطاعت السيدة الصديقة زوجه الكريمة أمنا الجليلة السيدة عائشة رضى الله عنها أن تقول له (ما أرى ربك الا يسارع في هواك) كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما - تريد رضي الله عنها بكلامها هذا أن ربه عزوجل لايحوجه الى مشقة سؤال يتجشمها ثم بعد السؤل تكون الاجابة بل هو تعالى يعلم مايهواه ويحبه فيفعله له ولو من غير سؤال ولا يفعل له ذلك مطلق فعل بل بقيد الاسراع - وهذا تقوله رضى الله عنها تحكى به ماتشاهد من عادة الله تعالى معه في أمياله ومحابه - وانا نذكر هنا شيأ يفهم منه الناظر كيف يطيعه ربه ويسارع في هواه فليسمع - سأله صلى الله عليه وسلم أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين أى فلقتين رواه البخارى ومسلم والترمذي وغيرهم وصرح بهذه الآية القرآن. فهي من المعجزات التى لايقوي مسلم علي أن يمترى فيها - ولعل هذا الوجود من بدئه لم ير آية مثلها في الضخامة والعظم - وأراد يوما صلى الله عليه وسلم أن يقضى حاجة واحتاج الى شئ يستتر به فأخذ بغصن شجرة وقال لها انقادى على باذن الله ثم ذهب الى أخري

وأخـذ بغصنها وقال لها مثل ذلك فانتقلتا من مكانهما الى حيث شاء ثم أمرها أن تلتئما فالتأمتا وقضى حاجته مستترابهما ثم تركهما فرجعتا الى مكانهما . رواه مسلم فأى جاه هذا الجاه الذي يأمر فلا يعصيه حتي الجماد ـ وشكا الصحابة اليه يوما العطش وكانوا بالحديبية وليس في الجيش الاركوة بين يديه صلى الله عليه وسلم « والركوة زق صغير » بها بقية ماء فوضع صلى الله عليه وسلم يده الكريمة في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربوا وتوضأوا وكانوا ألفاً وخمسمائة ولوكانوا مائة ألف لكفتهم . رواه البخاري ومسلم . فماذا يقول القارئ في جاه لأجله يفور الماء من الأصابع التى بينها وبين الماء المباينة كلها فانها عظم ولحم وأين ذلك من الماء الذى لونبع من الحجر الصلد لكان أقرب من نبعه من الأصابع فان الحجر من جنس الأرض التى بها مابها من ينابيع الماء بل احياء الموتي أقرب من هذا فان الميت كان به حياة وقريب أن تنفخ فيه الحياة ولكن كيف يكون اللحم والعظم ينبوعا للماء ـ ان ربنا ليفعل له ﷺ مالا يخطر على القلوب جلت قدرته ـ ودعا لأم سيدنا أبي هريرة رضى الله عنه أن يهديها الله تعالى وكانت قالت ماقالت فيه صلى الله عليه وسلم من الذم رداً على ابنها أبي هريرة لما عرض عليها الاسلام وكان أبو هريرة يبكى عليها غماً فلما دعا لها صلى الله عليه وسلم بالهداية رجع أبو هريرة رضى الله عنه في الحال الى البيت فسمع خضخضة الماء والباب مغلق

فلما سمعت حركة قدميه قالت له مكانك يا أباهريرة فلما فرغت من الغسل فتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي سروراً . رواه مسلم ـ وكان صلي الله عليه وسلم على المنبر يوماً فسأله أعرابي أن يدعوالله تعالى أن يسقيهم وكانوا في قحط فرفع يديه وما بالسماء قطعة سحاب فما ردها الا وقد ثار السحاب كأمثال الجبال ولم ينزل صلى الله عليه وسلم عن المنبر حتى نزل عليه المطر وصار يتقاطر على لحيته الشريفة ولا زال في انهمار حتى الجمعة التالية فسئل صلى الله عليه وسلم أن يدعو ربه أن يرفع هذا المطر فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا فانقطع المطر في الحال وخرجوا من المسجد يمشون في الشمس . رواه البخارى ومسلم . وكان يخطب صلى الله عليه وسلم أولا الى جذع نخلة فلما صنع له المنبر انتقل اليه فلما أحس الجذع بفراقه صلى الله عليه وسلم جعل يئن أنين الصبي والصحابة يسمعون ولولا أنه صلى الله عليه وسلم نزل عن المنبر وضمه كما تضم الوالدة ولدها الذى يبكى ماسكت عن انينه حزنا وأسي وحسرة على بعده عنه صلى الله عليه وسلم . رواه البخارى ـ فماذا يقول القارئ في جاه وعظمة وبركة تبكى خشبة على فراقها وليتذكر في هذا المقام قوما يحرمون تحريما قاطعا السفر الى زيارته والقرب منه ويغضبون نهاية الغضب عند ذكره بشئ من التعظيم ـ ليقل

لهم القارئ ان الخشب الجماد يعظمه ويجله و يفرح لجواره وقربه منه لدرجة أنه يئن ويبكي اذ شعر ببعده عن جواره الكريم — ومسح صلى الله عليه وسلم رجل عبدالله بن عتيك لما انكسرت ليلة قتل أبا رافع الذي نقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصار يهجوه فانجبر الكسر في الحال وكأنه ما كان يشكوها — رواه البخاري — وأكل أمامه صلى الله عليه وسلم رجل بشماله فأمره صلى الله عليه وسلم أن يأكل بيمينه فقال لاأستطيع كبراً منه فقال له عليه الصلاة والسلام لا استطعت فجمدت يده ولم يستطع بعد ذلك رفعها الى فيه — رواه مسلم — ووضعت له السيدة أم سليم رضي الله عنها حيسا (هو تمر مخلوط بسمن وأقط) وأرسلته له مستقلة له فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة فى تلك الحيسة ودعا ثم صار يدعو الناس ليأكلوا فأكلوا وكانوا زهاء ثلثمائة ولايدري أكانت أكثر حين وضعت أم حين رفعت . رواه البخاوى ومسلم — وطلب منه سيدنا عمر رضى الله عنه أن يدعو الله فيما بقي مع الناس من زاد وكان يسيرا وكانت أصابتهم مجاعة في غزوة تبوك فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة فى ذلك الشيء اليسير ثم أمرهم أن يأخذوا فلم يبق أحد من الجيش الا أكل وشبع ولم يبق معهم اناء حتى ملئ و بقى فضلة فقال حينئذ صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أني رسول الله لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة . رواه مسلم — وساخت أرجل فرس سيدنا سراقة رضى الله عنه الى بطنها في الأرض

لما دعا عليه صلي الله عليه وسلم حينما تبعه هو وسيدنا أبا بكر رضى الله عنه وهما فى طريق الهجرة (وكان سيدنا سراقة لم يسلم بعد) فأخذها على نفسه عهداً أن يرد عنهما ان هما دعواله فدعاله صلى الله عليه وسلم فنجت فرسه فرجع يرد عنهما وفاء بعهده ـ رواه البخارى ومسلم ـ ودعا صلى الله عليه وسلم أعرابيا الى الاسلام فقال له الأعرابى ومن يشهد على ماتقول فقال له عليه الصلاة والسلام هذه السلمة (شجرة) فدعاها صلى الله عليه وسلم فأقبلت تخد الأرض خداً حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثلاثا ثم عادت الى منبتها . رواه الدارمي ـ ودعا صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فجعل ينزل شيأ فشيئاً حتى نزل عنده ﷺ ثم أمره أن يرجع الى مكانه فرجع فعل ذلك ﷺ ليبرهن لأعرابى على أنه نبي فلما رأى ذلك الأعرابى طاعة العرجون له ﷺ أسلم ـ رواه الترمذى ـ وقرأ ﷺ قول ابراهيم (رب انهن أضللن كثيراً من الناس الى رحيم) وقول عيسى (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال اللهم أمتى اللهم أمتى وبكى فقال الله تعالى ياجبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك فأتاه جبريل وسأله فأخبره بما قال وهو أعلم فقال تعالى ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك . رواه مسلم . ليقف هنا القارئ طويلا ويفكر فى هذا الجاه العظيم الذي يتلطف به ربه هذا التلطف البديع ـ واختطف

الذئب شاة فانتزعها منه الراعى فأقعى على ذنبه وقال له ألا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الىّ فقال الراعي ياعجبا ذئب يتكلم فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق فذهب الراعى الى المدينة وأخبر النبى ﷺ بذلك فأمر فجمعت الناس وأمر الراعي أن يخبرهم فأخبرهم ـ رواه أحمد والبزار ـ وسئل ابن مسعود من أخبر النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن فقال شجرة رواه البخارى ومسلم ـ وقال سيدنا على كرم الله وجهه ورضى عنه كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولاجبل الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله ـ رواه الترمذى ـ وقال ﷺ ان بمكة حجراً كان يسلم على ليالى بعثت انى لأعرفه الآن . رواه مسلم ـ أين العقل والفهم أيها الناس ـ أشجار وجبال وحجارة تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآدميون يقفون فى وجه كل من يريد الاتصال به صلى الله عليه وسلم بأى حال هذا شئ غريب وعجيب ـ وقال صلى الله عليه وسلم لا تمس النار مسلماً رآنى أورأى من رآنى قال طلحة فقد رأيت جابراً وقال موسى قد رأيت طلحة قال يحيى وقال لى موسي وقد رأيتنى ونحن نرجو الله ـ رواه الترمذي ـ أرجو أن لا يستكثر القارئ هذا عليه صلى الله عليه وسلم وهو رحمة الله تعالى للعالمين وقد سبق ماروييناه عن مسلم أن الله تعالى يقول له انا سنرضيك فى أمتك ولانسوءك

وليتأمل كثيراً فى قوله تعالى ـ فى أمتك ـ ان معنى هذا الارضاء كبير ثم كبير ـ ولوفهم الانسان هذه العبارة كما هي عليه لصرح بأن هذه الأمة لايعذب منها أحد متى كان مسلما فان ذلك هو الذى يرضيه ﷺ ـ و يسوءه من غير شك تعذيب واحد منها هذا نقوله ولا نستبعده أبداً على ربنا وهو الذى يعد سيد خلقه ﷺ فى كتابه ـ فوق ماتقدم ـ فيقول له ولسوف يعطيك ربك فترضى والمبشرات الشاملة لأمة الاجابة كلها كثيرة فى السنة وكثيرة ـ وجاءه حرملة بن زيد فقال يارسول الله الايمان ههنا وأشار الى لسانه والنفاق ههنا وأشار الى صدره ولانذكر الله الاقليلا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم فردد ذلك حرملة فأخذ صلى الله عليه وسلم بطرف لسان حرملة فقال اللهم اجعل له لسانا صادقاً وقلباً شاكراً وارزقه حبي وحب من يحبنى وصير أمره الى الخير فقال حرملة يارسول الله ان لى اخوانا منافقين كنت فيهم رأسا ألا أدلك عليهم فقال ﷺ من جاءنا كما جئتنا استغفرنا له كما استغفرنا لك ومن أصر على دينه فالله أولى به ولاتخرق على أحد سترا ـ رواه الطبرانى فى الكبير. وانما دعا له ﷺ أن يرزقه الله حبه لأن حبه هو الايمان بعينه كما أن بغضه هو الكفر بذاته ـ وليس حبه صلى الله عليه وسلم أمراً يحكى باللسان فحسب بل القلب قبل اللسان ومتى استقر حبه صلى الله عليه وسلم فى قلب رأيت آثاره فى الحال من تعظيم يناسب قدره الأفخم ﷺ ومن ولوع بالصلاة والسلام

عليه ﷺ ومن حرص شديد علي اتباعه الاتباع المطلق فى كل حركاته وسكناته صلى الله عليه وسلم ومن شوق يتأجج فى الفؤاد يطلب طلبا لاهوادة معه ولاسكون أن يسعى اليه و يتشرف بالمثول بين يديه وما الى ذلك من آثار الحب الصحيح . أما من يقول بلسانه أنا أحبه ﷺ ثم لايجد من آثار ذلك الحب شيأ فهو محب باللسان لا بالقلب . وأرجو أن تسمع مايقوله محب امرأة

وكنت اذا ماجئت ليلى أزورها ... أرى الأرض تطوي لى ويدنو بعيدها

وانظر الى أى حد يبدى المحب من الطاعة لحبيبه اذ يقول

ولو أمروني أن أمر على لظى ... لقلت نعيما في هواهم وجنتى

أين هذا من محب يكره زيارة محبوبه و ينهى أشد النهى غيره عنها ولوسمع امرأ يذكر هذا المحبوب بشئ من التعظيم يتمعض و يعبس و يوجه اليه من الملام ما تأبى حكايته الأقلام . ليفتنى القاريئ الكريم أمحب هذا أما أنا فتقع لدي هذه المحبة موقع الغرابة ان لم أقل انها محبة كاذبة ثم كاذبة ــ ولعل القاريئ يفهم من هذا النزر اليسير الذى حكيناه هنا عنه ﷺ ــ الى أى درجة بلغ قدره ﷺ ووجاهته عند ربه والى أي حد بلغت مسارعته تعالى وطاعته لهواه ﷺ ــ عرف هذا حق المعرفة أصحابه رضى الله عنهم وكانوا عربا أوتوا ما أوتوا من نفوذ البصيرة ومعرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بفطرهم السليمة واستعداداتهم العالية وزاد هذا

بما منحوه من نور الاسلام ومجاورتهم له عليه الصلاة والسلام لذلك كانوا يعظمونه ويجلونه الى درجة يمثلها لك ويقربها الى ذهنك قول بعض أعدائهم يصفهم معه صلى الله عليه وسلم (اذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له) ولذلك لما رجع من عندهم قال لقومه (والله لقد وفدت على الملوك كسرى وقيصر والنجاشى والله ان رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه مايعظم أصحاب محمد محمداً الخ . رواه البخارى ــ ومن آثار بلوغهم النهاية فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا لو ظفر أحدهم بشئ من آثاره كقطعة من ثوبه أوقليل من شعره صلى الله عليه وسلم ــ لاحتقر الدنيا بأسرها بجانب ما ظفر به ــ كان هو صلى الله عليه وسلم يرى بعينه ذلك الاجلال البالغ منهم ولاينكر عليهم شيأ منه إشارة منه صلى الله عليه وسلم الى أنهم فى كل ذلك ما تجاوزوا المطلوب منهم نحوه عليه الصلاة والسلام . ولقد رأى صلى الله عليه وسلم أم سليم تجمع عرقه فى آنية معها وكان نائما فاستيقظ وقال ما تصنعين ياأم سليم فقالت (هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو أطيب الطيب) وفى رواية أنها قالت (يارسول الله نرجو بركته لصبياننا فقال لها عليه الصلاة والسلام مقراً ومشجعاً ومادحا أصبت . رواه الشيخان والنسائى . ولقد كانوا والله معذورين رضى الله عنهم فيما يفعلون معه صلى الله عليه وسلم من أنواع التعظيم والاجلال وكيف

لا يعذرهم العاقل وهم يرون خالقه رب السماوات والأرض معه كما أشرنا
سابقا الى بعضه ـ عرفوا ـ وما أذ كاهم ـ أنه حبيب ربهم الى تلك الدرجة
التى ليس فوقها درجة فكانوا كما وصفنا معه عليه الصلاة والسلام ليبرهنوا
لربهم عزوجل أنهم أحبوا حبيبه ذلك الحب الخالص من كل شائبة من
شوائب التصنع ومتى عدوا من رجال هذه الطبقة أحبهم سبحانه وتعالى
لأن محب المحبوب محبوب بلا نزاع وهم أعلم بدرجة من يحبه الله وبمقدار
مايصل اليه من جزيل الاحسان ممن كل احسان من فيض احسانه ولقد
وصلوا رضى الله عنهم الى حيث كانوا يقصدون فانهم خير أمة أخرجت
للناس لم ير هذا الوجود من أوله لمنتهاه أمة مثلهم فى سمو المنزلة عند ربنا
سبحانه وتعالى رضى الله عنهم ورضى عنا بحبهم فلقد كانوا المثل الأعلى
فى حبه صلى الله عليه وسلم الحب الذى معه برهانه ـ وهل هناك برهان
فوق ماتقدم لك بعضه ـ وأضف الى ذلك أنهم كانوا رضى الله عنهم يبذلون
أرواحهم وأموالهم فى طاعته ولو عرض على أحدهم أن يقتل فى أى واد بأى
نوع من أنواع القتل أو أن يشاك هو صلى الله عليه وسلم بشوكة على سريره
فى بيته لأبى كل الاباء أن يشاك صلى الله عليه وسلم بتلك الشوكة وسارع
هو بكل ما فيه من قوة الى حيث يقتل ليباعد بينه صلى الله عليه وسلم
و بين تلك الشوكة وما عن خيال أقول بل عنهم أقول ـ وكان أحدهم
فى اقتناع تام أنه ان قتل فهو فرد من أفراد الناس لا أثر فى الوجود بموته

أما ان مات هو صلى الله عليه وسلم فهو رسول الله لذي موت الأمة بأسرها أخف من موته فانه لولاه ما كانت الأمة فلو ذهبت الأمة كلها وبقي هو صلى الله عليه وسلم لكان من القريب جداً أن تهتدى به أمة أخرى تحل محل التى ذهبت وربما كانت أجل وأعظم لكن لو انتقل هو الى الرفيق الاعلى لاينتظر أن يحل محله رسول آخر لذلك كانوا رضى الله عنهم فى ميادين القتال لايفكرون فى أنفسهم ماتوا أم بقوا ولكنهم فى وجل لايماثله وجل عليه ﷺ لأنه رسول الله واسمع مثلا من ذلك ـ لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة وقالوا قتل محمد حتى كثرت الصوارخ فخرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأبيها وابنها و زوجها وأخيها فقالوا هذا أبوك اخوك زوجك ابنك ـ تقول ما فعل رسول الله ﷺ ـ يقولون أمامك حتى وقفت عليه فأخذت بناحية ثوبه ثم قالت بأبى أنت وأمي يارسول الله لا أبالى اذا سلمت من عطب ـ رواه الطبرانى فى الأوسط ـ هـذه امرأة فما بال الرجال وما بال عظماء الرجال وكلهم رضى الله عنهم عظماء ـ ومن راجع حالهم رضى الله عنهم يوم انتقل ﷺ الى ما أعدله من خير لايعلم قدره الا ربه ـ عرف ماتقول من حبهم له الحب الذى ما سمع الوجود مثله فلقد ملك الذهول بعضهم الى حد أن أخرس ألسنتهم ـ وبعضهم وصلت بهالصدمة الى درجة أن خارت قواه فهوى الى الأرض لايستطيع الحركة ـ وبعضهم استولى عليه الحزن لدرجة أن

أذهب عقله وأفقده رشده ـ كان ذلك منهم وهم الكماة الأبطال فخر الدنيا في شجاعتهم وجلدهم ـ وقوم هذا وصفهم أنت تقدر مبلغ الحادث الذى يصل بهم فى الهزيمة الى الحد الذى نذكر لك ـ وما كثير والله ذلك منهم افقد بركة الوجود وشمس الهداية وينبوع سعادة الدنيا والآخرة اللهم صل وسلم وبارك عليه عدد وكيفما صلى وسلم و بورك ويصلى و يسلم ويبارك عليه ـ نعم كان ﷺ كما نقول وفوق ما نقول فى العظمة التى لا تدانيها عظمة مخلوق بل ولا يتصور مبلغها عند ربها أحد ـ ومن أجل هذا كانت أمته أجل الأمم كما وكيفا ـ أما فى الكم فحسبك أنها وحدها الثلثان من أهل الجنة وجميع الأمم ثلث واحد ـ وأما فى الكيف فهى خير أمة أخرجت للناس أخبر بالأول نبيها وأخبر بالثانى ربها ـ وبهذا تتناسب عظمة الأمة مع عظمة رسولها ﷺ ـ ومما تنفر منه الطباع وتكذبه البديهة ويلعنه الانصاف لعنا اعتقاد أن كل هذه الأمة حتى علماءها وقادتها مشركة لا تستحق الا محوها من الوجود مع أن رسولها بالقدر الذى عرفت وتقديره لها ما روينا لك وحكم خالقها و بارئها عليها ما سمعت ـ فانا اذا ماشينا ذلك الرأى وقلنا ليس فى الأمة مؤمن بحق الا شرذمة ظهرت في آخر الزمان ليست هناك فى علم ولا فى عمل ـ نكون قد وقفنا فى وجه كلام ربنا وكلام رسولنا صلى الله عليه وسلم ودفعنا فى صدورهما دفعا وشهدنا على أنفسنا بنقيض ما شهد لنا به ربنا ونبيه ولا أظن أن الدنيا تحمل عاقلا

يرضى هذا ويتقبله ـ انى أحب أن يعرف القارئ هذا المقام حق المعرفة فانه فى حاجة شديدة اليه فى كل زمان وخصوصا فى هـذا الزمان الذي ابتلى بكثير من الناس يخففون من قدره صلى الله عليه وسلم ويزعمون أن ذلك هو التوحيد ووالله ما ذلك توحيد ولا يقرب من التوحيـد وانه ليغضب التوحيد وأهل التوحيد ويغضب قبـل الكل رب التوحيد ـ وانى انى عجب عجاب من رجل يستغرب اكراما نسب اليه صلى الله عليه وسلم أونسب الى واحد من اخوانه الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ـ فان استغرابه هذا اما أن يرجع لقـدرته تعالى على ما يستغرب ـ واما الى استحقاقهم هم الشئ الذي يستغربه ـ واما الى حصول ذلك الشئ ووقوعه فى الخارج بالفعل ـ فان اختار الأول فقد برهن على أنه لايعرف الله ولا مبلغ قدرته فانه لو عرف ذلك ما استبعد عليه شيئاً أراده ولو ازالة كل هذا الوجود فى لمحة ـ وان اختار الثاني فقد أقام الدليل واضحا على أنه لا يعرف من هم الانبياء ولو عرف أنهـم الطبقة العليا من حزبه تعالى وصفوة الصفوة من أحبابه ـ ما استعظم عليهم كرامة يكرمهم بها ربهم ـ ليعلم المستغرب أن هؤلاء الأنبياء هم الذين نسوا أنفسهم وفنيت ارادتهم فى ارادة مولاهم تعالى ولذلك ما كانت تزعجهم المزعجات ولا تثنيهم المؤلمات عن القيام بما كلفوا به منه تعالى بل كانوا مهما عصفت حولهم عواصف البلايا والمحن لاتراهم الا كالجبال الرواسى التى تهزأ بكل قاصفة أو هى لاتشعر بما يجرى

حولها من زوابع ولو لم يكونوا كما نقول ما استطاعوا أن يقفوا يوما واحداً في مهب عواصف الأهواء المتباينة ولا أمكنهم أن يتحملوا يوماً واحداً ما يصيبهم من أنواع الأذى الذي يصوب اليهم من صوب سفهاء أممهم وهو كثير ثم كثير - واذ قد رأينا أحدهم يمكث بين قومه ألف سنة الاخمسين عاما يوالي الدعوة الى توحيد ربه غير ملتفت لما يناله ممن يدعوهم - وهو مع تواليه كثير وأليم - دل ذلك قطعا على أنهم لا ارادة لهم مع ارادة مولاهم وقوم هذا قدرهم ليس من العقل ولا من الانصاف أن يستعظم عليهم منحة يمنحونها مهما عظمت - وان اختار الثالث كان كمن يسلم المقدمات ولا يسلم النتيجة فانه اذا سلم أن الله تعالى قادر على تلك المنح وسلم أنهم يستحقونها كان لا وجه له في وقوفه أمام وقوعها ولو كان لا دين له الا اذا كان لا يعتقد في ربنا تعالى الحكمة التي تعطي لكل ذي مستحق ما يستحقه أما من يعتقد أنه حكيم فلا يمكن أبدا أن يتردد في وقوع هاتيك الكرامات - أما من يعتقد فوق حكمته أنه كريم وشكور يكافئ على القليل بالكثير فهذا لا يستبعد شيأ مهما جل - على كرمه تعالى وشكره - وكيف يستبعد عليه شيئاً وهو الغني الذي لو سأله أهل السماوات والأرض كل ما خطر على باله من مطالب مهما بالغ فيها لأعطى الجميع ما يسألون دون أن ينقص من خزائنه شئ - المختار الذي لا يجبر على عطاء ولا يرغم على منع - القدير الذي اذا أراد اعطاء أي شئ كان

من المحال أن يقهره قاهر على منعه ـ هذا نقوله لمن يعرفه تعالى ولكنه لا يؤمن بالأديان أما ذوو الدين الذين يؤمنون بكتب الله تعالى وأخبار الأنبياء فان هذا الاستغراب لايخطر على بالهم لأن تلك المنح نطقت بها الكتب الالهية ونطق بها الأنبياء ونقل ذلك عنهم نقلا لاشك فيه فلم يبق بعد ذلك كله الا التصديق الخالص الذي لايشوبه أدنى ريب ومن ارتاب في حصولها من المؤمنين كان عدهم ظالما على المؤمنين ـ وخلاصة القول أن المؤمنين قديما وحديثاً أينما كانوا ومتى وجدوا لا يتردد واحد منهم في أن للأنبياء عند ربهم جاها عظيما له آثاره الجليلة في حياتهم الدنيوية وبعد انتقالهم الى الرفيق الأعلى بل ولايتردد واحد منهم في أن لأتباعهم أهل الاستقامة جاها عنده تعالى له آثاره في حياتهم وبعد مماتهم دل على ذلك كتاب ربنا وسنة رسوله ﷺ فالمرتاب فيه واقف في وجه كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ ـ واني لا أكذب القارئ الحديث ـ أنا أشم من تردد من يتردد في ذلك رائحة الاستخفاف بخالق السماوات والأرض فان العقول متفقة على أن الآثار تدل على من صدرت عنه حقارة وعظما فان حقرت حقر من صدرت عنه وان عظمت كان عظيما ومن هذا ترى الصوفية يقولون (عنوان الرجل أصحابه) يعنون أنهم ان صلحوا كان صالحا وعلى قدر صلاحهم يكون صلاحه والعكس بالعكس وترى العلماء المشتغلين بتعليم العلم يستدلون بنجابة الطلبة وبلادتهم

على نبوغ المعلمين وضعفهم ـ وتري تفاوتا هائلا جداً فى اجلال الناس لأرباب الصنائع فان أثر كل صانع دال على قدر احسانه وبراعته فى صنعته وعلى قدر هذا الاحسان وتلك البراعة يجل الناس الصانع ويدعونه الى أعمالهم ـ واذا كان الأمر هكذا فانى أقول ان أجل خلق الله تعالى على الاطلاق هذا النوع الانسانى فاذا لم يكن فى هذا النوع عظيم ذو مكانة رفيعة وجاه كريم وكانوا كلهم لاقيمة لهم ولا يستحقون اجلالا ولا تعظيما ـ دل ذلك من غير شك على أن الخالق ليس بعظيم ـ تنزه ربنا وتقدس ـ وكيف يكون عظيما من أعظم آثاره لاقيمة له ولا يستحق اجلالا ولا تعظيما ـ وهو كما تري شناعة وكفرا ـ اذن نستطيع أن نستنتج من هذا أن الاستخفاف بمن صرح ربنا أنه أنعم عليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ـ استخفاف به عز وجل فانه تعالى أخبر فى كتابه أنه أنعم على هؤلاء دون سواهم وفى ذلك السوى من أنعم عليه بالدنيا بأسرها كان يملك كل سهولها وجبالها وبحارها ورجالها ونسائها وحيواناتها وبلادها وذهبها وفضتها ومع ذلك لم يعد مثله ممن أنعم عليهم وذلك يدل بلانزاع أن انعامه على الواحد ممن أنعم عليهم فوق انعامه بالدنيا بأسرها بل يمكنك أن تقول ان ركعتين يركعهما الواحد ممن أنعم الله عليهم خير من الدنيا وما فيها فانظر أنت الباقي كيف يكون قدره وهو لا يعلمه الا هو تعالى ـ واذا كان انعامه تعالى على أحدهم بهذا العظم فالاستخفاف بهم

استخفاف بمن أنعم عليهم واستخفاف بنعمه التى منحها لهم ـ وهذا كفر لايختلف فيه مسلم ـ ولو لم يكن المستخف بهم هذا حاله لكان له شأن آخر مع أولئك المنعم عليهم فكان يقول ان هؤلاء موضع هبات ربنا وهــداياه والهدايا على مقدار مهديها وربنا تعالى لانهاية لفضله واحسانه وكرمه وغناه فاذن هباته وأنواع فضله على من أنعم عليهم لايعلم مبلغها سواه اذن هؤلاء المنعم عليهم من العظم بالدرجة التى لانعرف لأمثالى وانما يعلمها مانحها فقط ـ وبهذا ينظر اليهم بعين كلها اجلال وتوقير واحترام ومع ذلك يجزم كل الجزم أنه ما رعى حرمتهم حق الرعاية لأن الـكريم الغنى اختارهم من كافة الخلق واصطفاهم وجعلهم خصته وأغدق عليهم من أنواع فضله واحسانه ماهوله أهل وعظمهم هو وأجلهم اجلالا وصــل الى درجة أنه اعتبر اكرامهم اكراماله واهانتهم اهانة له وطاعتهم طاعــة له ومعصيتهم معصية له وفى حكمه العادل يكفر ويستحق النار الأبدية يعانى فيها أشد العذاب من أهان رسولا له واحداً بكلمة واحدة مرة واحدة فى حياته كلها ولم يتب منها وصمم على أنه يستحقها ومات على ذلك ـ بل ليقل لى هذا المتردد فى جاه وعظمة أحباب ربنا عنده. ماذا يفعل اذا كان بيده من المنافع الدنيوية شئ مكنه منه ربه وله أحباب أعزاء أجلاء ـ لاأظن أنه يتردد فى بذل مايستطيعه من ذلك لهم ان كان فيه من كرم الطباع شئ وذلك معدود بين الناس على اختـلاف مشاربهم من

مكارم الاخلاق

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا   من كان يألفهم فى الوطن الخشن

ومن النقائص المتفق على قبحها أن يكون الانسان من السعة وبسطة العيش كما ذكرنا ثم يبخل على ذوى قرباه وأحبابه فيكون هو غارقا فى أصناف النعم وهم بين سمعه وبصره يتضورون جوعا — ان الناس يعدون من ذلك حاله فاقد المروءة لئيما شحيحاً لاخير فيه — ولعل ذلك لايرضى به أحد لنفسه . واذا كنا لانرضاه لأنفسنا — على نقصنا وفقرنا وشحنا الطبيعى — فكيف نرضاه لمولانا الغنى الذي كل غنى من أثر غناه — الكريم الذي كل كرم من فيض كرمه — الذى كل العوالم حتى الكافرون به بمافيهم المنكرون لوجوده — يتقلبون فى بحبوحة كرمه ويرتعون فى موائد نداه ويستظلون بظله الدائم الوارف الا من شاء له غير ذلك ممن لايستحقه من عباده فى آخرته — أفيكون بهذا الغنى وهذا الكرم وهذا الجود وبهذه القدرة الباهرة واذا قيل لنا انه أكرم بعض أحبابه بكذا من المنح الجليلة التى ليس بمعتاد أن يراها غيرهم — يقع ذلك موقع الانكار من أنفسنا ونحاول بكل مانستطيع من قوة أن ندفع ذلك القيل — ليخبرنى ذلك المنكر اذا لم يكرم هذا القادر الكريم فمن يكرم واذا لم يكن جزيلا كرمه فكرم من يكون جزيلا

(شئ من آثار وجاهة الأولياء عند ربنا عزوجل)

امتلأت الدنيا اليوم بمنكرى كرامات الأولياء بل وبمن يهزءون بمن يعتقد كرامات الأولياء ويعدون هذا المعتقد من بقايا القرون الوسطى ويرون أنا لانزال فى تأخر فى ديننا ودنيانا مادام الوجود يحمل هذا الطراز من الناس ـ الأمر هكذا ولو أنك التفت لفتة بسيطة لوجدت أقواما آخرين عندهم الايمان بكرامات الأولياء من أوليات ما ينطوون عليه من العقائد لايتوهمون أن الدنيا فيها انسان واحد يتردد فى وقوع تلك الكرامات وكثرتها الكثرة التى صيرتها من الأمور المألوفة بين صالحى عباد الله تعالى لأنهم يشاهدونها كل يوم ممن يصحبونهم من الأخيار ومن يستطيع أن ينكر شيأ يراه كل يوم بعينه ـ أما أولئك المنكرون فقد برهنوا بانكارهم هذا على أمرين ـ الأمر الأول أنهم لم يروا ذلك من أنفسهم ولا ممن يحبونهم ويصبحونهم من الناس فقاسوا كل الناس على أنفسهم كفاقد حاسة البصر ينكر على كل من يدعى أنه يشاهد نورا لأنه هولايشاهد نوراً ـ والأمر الثانى أنهم لم يطلعوا على كتاب ربنا وسنة نبيه ﷺ ولو اطلعوا عليها لرأوا كثيراً ثم كثيراً من الكرامات يحكى ربنا أنه أكرم بها أحبابه . وانى لا أرى بأسامن ذكر بعض ذلك هنافأقول. حسب القارئ برهانا على أثر وجاهة الأولياء عنده تعالى قصة أهل الكهف التى قصها علينا القرآن الكريم فان تلك القصة تضمنت أن أولئك الفتية ناموا

ثلثمائة عام وتسعة أعوام دون أن يتناولوا فيها طعاما ولا شرابا وهى مدة لم تجر العادة بأن ينامها أو ينام القريب من القريب منها أحد - كما أن العادة لم تجر بأن يصبر عن الطعام والشراب أحد فى مثلها أو فيما يدانى مايدانيها - وتضمنت أنه تعالى تولى تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال بدون أى سبب ليكون نومهم ممتاداً لاتتألم منه جنوبهم كل تلك الرقدة الطويلة وهى عناية أفخم مما لو تركهم على جنب واحد وسلب عنه الألم - وتضمنت أنه تعالى أنامهم بحالة تجعل الناظر اليهم يحسبهم أيقاظاً وهم رقود وذلك من أسباب بعد السوء وأهله عنهم فان اليقظ دائما مهيب بخلاف النائم الذى يستطيع أن يكيد له أضعف الناس وهو لايشعر - وتضمنت أنه تعالى ألقى عليهم من الهيبة ما يكفى لأن يملأ من يطلع عليهم رعبا ويحمله على أن يولى منهم فراراً وهو مبالغة فى المحافظة عليهم من أرباب الشر من الناس - وتضمنت أنه تعالى جعل الشمس اذا طلعت واذا غربت لا تصيب المكان الذى هم به حفظاً لهم من الشمس ومن حرارتها أن تؤذيهم - منعها تعالى من اصابة الفجوة التى هم بها من الكهف مع أنه لاحاجب يحجبها عن تلك الفجوة الا محض القدرة الالهية ولذلك قال تعالى فى هذه المنحة « ذلك من آيات الله » نعم انها من آيات الله الكبرى الدالة على أن قدرته تعالى لاتقف عند حد — نعم كان قادراً ربنا أن يحميهم من حرارتها مع تسلطها عليهم أو يسلبها الحرارة

بالنسبة لهم ولكن مافعله تعالى أضخم وأفخم ـ ولماذا فعل ربنا تلك الخوارق الباهرة من أجل تلك الفتية ـ لاجواب على ذلك الا أن وجاههم عنده ومكانتهم السامية التي يعلمها هو ـ هى التى بها فعل بهم ما فعل مما أنبأنا أن قصتهم العجيبة تضمنته ـ ومما يدل دلالة قاطعة على جاه أولياء ربنا عنده ما فعله مع السيدة الجليلة الكاملة سيدتنا مريم بنت عمران رضى الله تعالى عنها فانه تعالى قال عنها فى كتابه « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عندالله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » فان سيدنا زكريا لا يقول لها « أنى لك هذا » وهو يرى أن ما عندها من الرزق وصل اليها من طريق معتاد ـ وهى لاتقول له فى الجواب « هو من عند الله » وهو من المعتاد من الأرزاق فلم يبق الا أنه كان يجيئها من طريق غير مألوف وذلك هو الكرامة ـ ونداء الملائكة لها غير مألوف ـ ورؤيتها لسيدنا جبريل ليست بمألوفة ـ وحملها سيدنا عيسى بلا مس بشر غير مألوف ـ وكلامه ﷺ وهو فى المهد من أجل براءتها ليس بمألوف ـ وكله حكاه القرآن فلا شك فيه ـ وهل يكرمها ربها بكل تلك الكرامات العظيمة الا لما لها عنده تعالى من الوجاهة والمنزلة السامية ان ذلك من البديهيات التى لاتحتاج في ادراكها الى طول تفكير . وفى القرآن كثير غير هذا ـ وأما ما جاء فى السنة فشئ تصعب الاحاطة به ولا بأس من ذكر شئ

منه فقد روى البخارى رضى الله عنه أن سيدنا خبيبا رضى الله عنه كان يأكل الفاكهة فى غير أوانها وهو أسير — وأن قريشا أرادوا أن يأخذوا قطعة من جسم سيدنا عاصم رضى الله عنه بعد أن قتل فلم يستطيعوا وحال بينهم و بين ذلك ظلة من الزنابير — وأن رجلين خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضاءت لهما عصا أحدهما فلما افترقا أضاءت للآخر عصاه — وأن سيدنا عبد الله والد سيدنا جابر مازالت تظله الملائكة بعد قتله يوم أحد حتى رفعوه — وأن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه كان اذا دعا استجاب الله له دعاءه بعين ما يطلب واتفق مسلم فى هذا مع البخارى كما اتفقا على رواية أن عابداً ممن قبلنا يسمى جريجا رضى الله عنه اتهمته بغى أنه أبو ولدها الذى ولدته من سفاح فصلى ودعا ونخس الغلام قائلا له « ياغلام من أبوك » فأنطق الله هذا الوليد الجديد الولادة فأخبر بوالده الحقيقى و برأ هذا العابد الجليل — وروي البيهقى والحاكم وابن سعد عن سيدنا عبد الله بن جحش رضي الله عنه أنه كان يقول قبل يوم أحد اللهم انى أقسم عليك أن ألقى العدو غدا فيقتلوني ثم يبقروا بطنى و يجدعوا أنفى وأذنى وتسألنى بم ذلك فأقول فيك فقتل رضى الله عنه وفعل العدو به ماطلب — وغلب المسلمين أعداؤهم فى غزوة بعد رسول الله ﷺ فذهبوا الى البراء بن مالك شقيق سيدنا أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ وقالوا له يابراء أقسم على ربك فقال

يارب أقسم عليك لما منحتنا أكتافهم وألحقني بنبيك محمد ﷺ فكان ما أقسم رضى الله عنه ـ وانما طلب الصحابة رضى الله عنهم منه أن يقسم على ربه لأنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول فيه (كم من أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لوأقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك) رواه الترمذى والضياء فى المختارة ـ وكهذا الذي حصل من سيدنا البراء ما حصل من سيدنا عمرو بن الجموح رضى الله عنه لما سمح له أولاده أن يخرج للجهاد فى غزوة أحد بعد أن شكا لرسول الله ﷺ منعهم له من ذلك وكان أعرج ممن عذرهم الله تعالى ان تأخروا عن الغزو وكان مما قال لرسول الله ﷺ والله انى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة فلما خرج بسلاحه مع المجاهدين استقبل القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولاتردني خائبا الى أهلى فرزقها رضى الله عنه ولم يرده ربه خائبا وحينئذ قال عليه الصلاة والسلام (والذى نفسى بيده ان منكم من لوأقسم علي الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته ـ وقال ﷺ مثل هذا الحديث دون لفظ منهم فلان فى سيدنا أنس بن النضر عم سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه لما كسرت أخته الربيع سن جارية من الأنصار وطلبوا القصاص منها وحكم به الرسول ﷺ فكان مع ذلك يقسم أن سنها لاتكسر ثم قبل أهلها الأرش ولم تكسر سن الربيع كما كان يقسم سيدنا أنس بن النضر رضى الله عنه ـ وقال مثله فى سيدنا أويس القرني رضى الله عنه رواه مسلم

وشرب سيدنا خالد رضى الله عنه السم يبرهن لقوم كافرين أن دين الاسلام حق فلم يضره ـ رواه البيهق وأبو نعيم وأبو يعلى ـ ودعا رضى الله عنه أن يكون الخل عسلا فكان كما دعا رضى الله عنه . رواه ابن أبي الدنيا ـ وغسلت الملائكة سيدنا حنظلة رضي الله عنه لما قتل فى سبيل الله . رواه البيهق وأبو نعيم وابن سعد وكان سمع خروج المؤمنين للجهاد فلم يسمح لنفسه أن يتأخر عنهم حتى يغتسل وكان جنبا ـ ورووا أيضاً أن شهداء أحد لما نقلوا من مكانهم الذى دفنوا فيه وجدت أبدانهم رطابا لدرجة أن أطرافهم كانت تنثنى كما كانوا أحياء وأصابت المسحاة رجل سيدنا حمزة رضي الله عنه فانبعثت دما وكان ذلك بعدست وأربعين سنة من موتهم وقوله فانبعثت دما يفيد أنهم أحياء بأجسادهم حياة تشبه حياة الدنيا ولولا ذلك ما سال الدم من رجل سيدنا حمزة باصابة المسحاة لها فان الميت لانزاع فى أنه لادم له ـ ولقد روت لنا جريدة الاهرام جمله حوادث لعباد صالحين ماتوا من مئات السنين ـ أنهم وجدوا لاتغير بأبدانهم عن حياتهم الدنيوية وقتما كانوا ينقلونهم من مدافنهم الى مدافن أخري لمناسبة فتح شوارع جديدة بالقاهرة من عهد ليس ببعيد ـ وحدثنا نحن بحوادث كهذه ممن لانشك فى صدقه ـ فلنقل اذن جميعا « لاينكر بعد اليوم منكر » كما قال سيدنا أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه حينما رأى شهداء أحد ورأي ذلك الدم الذى ينبعث ممن مات من ست وأربعين سنة ـ

وقال سيدنا الزبير رضى الله عنه لابنه عبدالله ـ وقد أخبره أنه ميت لامحالة ظلما فى وقعة الجمل ـ ان عجزت عن شئ منه (أى دينه) فاستعن بمولاى قال عبدالله فوالله مادريت مايقول حتى قلت ياأبت من مولاك فقال الله فوالله ماوقعت فى كربة من دينه الاقلت يامولى الزبير اقض دينه فيقضيه. رواه البخاري ـ وروى أيضاً هو ومسلم والترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال « اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ـ ليسمع المنكر ثم ليسمع ـ وانى أقول لولم يرد فى كرامات الأولياء الاهذا الحديث لكان كافيا وفوق الكفاية وانى أرجو حضرة القارئ الكريم أن يقف هنا طويلا ويتأمل فى مبلغ عظم هذه الكرامة التى تحار الأفكار عند سماعها فى تقدير جاه سيدنا سعد هذا ـ عند ربه عزوجل ـ وروى الشيخان البخارى ومسلم والترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال (يأتى على الناس زمان فيغزوفئام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتى على الناس زمان فيغزوفئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتى على الناس زمان فيغزوفئام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يكون بعث الرابع فيقال انظروا هل ترون فيكم أحدا رأي من رأي أحداً رأى أصحاب رسول الله ﷺ فيوجد

فيفتح لهم» هذا الحديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم - وهذا الطراز بين صحاح الأحاديث أعلاها وأرقاها وهو يثبت ان أصحاب رسول الله ﷺ بلغوا من الوجاهة عند ربهم عزوجل الى درجة أن الله تعالى يكرم بالفتح والنصر على الأعداء جيشاً لا أقول منهم رضي الله عنهم ولا من طبقة رأتهم ولا من طبقة رأت من رأتهم بل يكفي لنصر الجيش أن يكون فيه واحد فقط رأى واحداً فقط وهذا الواحد الثاني رآى واحداً رأى أولئك الأصحاب رضى الله عنهم - وهذا نوع من الوجاهة يجعل من لم يؤمن بالكرامات يؤمن بها رغم أنفه كيف لا وهو يرى رب العالمين يأبى خذلان جيش فيه واحد فى الطبقة الرابعة من أولئك الغر الميامين رضى الله عنهم. وأحب أن لاينسى القارئ أنهم رضى الله عنهم لم يبلغوا هذه الدرجه الباهرة الا لسر هو أنهم أصحاب رسول الله ﷺ هذا هو الاكسير الذى كان ينقلب به الرجل من بدوى جلف الى عالم ينطق بالحكمة - ومن شيطان رجيم الى ملك كريم - ومن ظلمة حالكة الى نور يتوهج توهجاً تضيء به الدنيا من مشرقها لمغربها - يارب صل وسلم وبارك على هذا الرسول الكريم وأفض علينا من بركاته ما يلحقنا بالصالحين من عبادك - نعم كانت صحبته ﷺ تأخذ بيد من فى الحضيض فترفعه الى أرقي درجة تتصور رفعة البشر اليها ومن شك فى هذا فليسمع قوله ﷺ (لايحب الأنصار الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن

أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي ـ هذا جاه عريض ومنزلة يعرفها الناس للرسل صلى الله عليهم وسلم أما رجل من أفراد الناس ليس بنبي ولا برسول ثم يكون حبه إيمانا وبغضه يكون كفراً يحب الله من يحبه ويبغض من يبغضه هذا شيء لولا أنا نقرأه في حديث نبوي في أعلى طبقة من الصحة لكان عجيباً وغريباً وقعه في نفوسنا ـ ومع ذلك من دقق النظر ظهر له أن هذا المعنى الذي يخبرنا به ﷺ عن الأنصار معنى مألوف معروف ذلك أنك ترى الرجل يعامله الناس بما يعاملون به صاحبه فان كان صاحبه محترما عندهم احترموه والا أهانوه وبهذا عامل ربنا عزوجل أصحاب نبيه ﷺ ـ هو عنده صفوة الرسل فاختار له عزوجل صفوة الأمم لأن التناسب في الصحبة لابد منه وربنا هو الحكيم وهو العليم فغير متصور في حكمته أن يأتي بأناس ليسوا بذاك ثم يجعلهم أصحاب أجل خلقه فان النفرة بينهما تكون مستحكمة لعدم التناسب وبعد المشارب — فاستفد هذا أيها القارئ ولايقع منك موقعاً غريباً أن يكون حب أصحابه ﷺ إيمانا وبغضهم كفراً خصوصاً اذا كان السبب الباعث على الحب أو البغض عنوان هذه الصحبة فان الحب والبغض يكونان منصبين عليه ﷺ ولايختلف أحد أن حبه ﷺ إيمان وبغضه كفر ـ واني أكتفي بما سقنا قبلا من الخوارق التي بها أكرم الله بعض عباده المخلصين وأبان بها ما هم عنده من

اه ومنزلة رفيعة - وليس ماسبق لناذ كره بالنسبة لما لم نذكر شيأ يذكر
ن الوارد في الكتاب والسنة لوجمع - وجمعه عسير ثم عسير - لكان كثيراً
هذا الوارد بالنسبة لما لم ينقل و بالنسبة لما أكرم الله به أحبابه من ذلك
مهد اليوم - شئ يسير ثم يسير ولوجمع هذا وهذا لبلغ عشرات بل ومئات
لمجلدات فان فضل ربنا على أحبابه بعيد حصره وكله من آثار ماهم
نده من وجاهة رضى الله عنهم ونفعنا بمحبتهم وحشرنا فى زمرتهم -
إذا كان للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذلك الجاه الذى بيناه فى
لترجمة التى قبل هذه - وللأولياء رضى الله عنهم هذا الجاه وقد تبينا
كالشمس نهاراً ولاغيم - فأى لوم على من يلوذ بهم ويتحبب اليهم ويسر
السرور كله اذا أنعم الله تعالى عليه بمحبتهم له ورضاهم عنه ويغتم الغم
كله اذا أحس بشئ من تغير قلوبهم من جهته - وأي لوم على من يذهب
اليهم وهم أحياء أوأموات و يناديهم في شدائده كلها و يستغيث بهم أن
يتوجهوا الى خالقهم بمالهم عنده من جاه ومنزلة ويسألوه بألسنتهم الطاهرة
أن يتفضل عليه بمنحه ماله من حاجات - ان من لايفعل ذلك - وهو
يعلم مالهم من تلك الوجاهة عندربهم - يكون قد غبن نفسه غبنالايعرف
مداه وجنى عليها جناية لايدرى مبلغ أثرهاعنده - وسنتكلم فيما يأتى
طويلا بمشيئة الله تعالى نشرح هذا المعنى شرحا لايدع فى قلب العاقل
شبهة ولاشبه شبهة فلينتظر - وهل يستوى من يتقدم الى ربه بنفسه وهو

ملطخ بقاذورات المعاصى متدنس بدنس الذنوب - بمن يتقدم اليه بين أحبابه وصفوته من عباده يحتمى بهم بيده علم القبول الذي لاينكس وحجة الفوز التى لاتخدش (أنت مع من أحببت)

(لفتة لمنكرى تلك الوجاهة)

وانى التفت الى منكرى هذه الوجاهة ومنكرى آثارها أوالمخفضين من شأنها وشأن آثارها فأقول لهم - أنتم ياالخوانى فى مقام لوفكرتم فيه لجزعتم على أنفسكم جزعا عظيما ورأيتم مستقبلكم أسود حالكا لاتدرون ماذا قضي لكم فيه من أنواع الاهانات - أحب أن تقولوا لى بانصاف - ماذا يفعل أحدكم اذا كان من أرباب الوجاهة ومن ذوي المروءة والأحساب الكريمة والوجوه الوجيهة وفيه من الدم العربى قطرات تجري - وجاءه من يستغيث به ويحتمى بحماه ويلوذ بأركان بيته هربا من ظلم الظالمين وعسف الجائرين واعتداء أهل السفاهة المعتدين - ماذا يكون منك أيها الأخ اذا ترامي هذا فى أحضانك ولم يرله ملجأ ولامفرا الا اليك وواجهك بقوله أنا فى وجهك عائذ بجاهك ممن يناوئنى ويريد البطش بى وأنا مسكين ضعيف لاناصر لى - لا أظنك - وقد دبت فى رأسك حمية العرب وهاجت فيه عاطفة الكرام الاقائلا انى أقف دونه بنفسى وبرجالى وبمالى أحول بينه وبين أى أذى حتى الشوكة يشاكها من عدوه - انك ان قلتها وجدت لك أسلافا من العرب الذين اليهم ينتهى خلق الوفاء فى عهدهم

فان أحدهم كان يسمع الكلمة من المغلوب يستنصره و يلوذ به ـ وهو فى حيه هادئ مطمئن ـ فيلقى رداءه عن كاهله و يقوم ثائراً كالعاصفة القاصفة ولا يهدأ الا اذا قضي القضاء الأخير على كل ظلم يحيط بمن استغاث به أو يقضي هو وكل من يتصل به ـ وكم شبت حروب وكم ذهبت أرواح فى هذا السبيل ـ نحن لا نبعد ونرجع بك الى العرب الذين بعد عهدهم ونسيت أو كادت تنسي آثارهم بل نقول لك نحن اليوم نري الرجل فى غاية الذل والضعة فاذا انتسب الى دولة من الدول القوية واحتمي بها تبدل بهذه الحماية ذله عزاً وانقلبت ضعته رفعة وأصبح يتقلب في أنحاء الأرض يرفرف على رأسه علم تلك الحماية لا يخشى اعتداء من أحد بل يخشى اعتداءه الأقوياء يمر على من كان يحتقره و يؤذيه بالأمس فينكمش أمامه لا يبدى ولا يعيد ـ وكم رأينا دولا قامت وقعدت وقام بها من الغضب ما فعلت معه الأفاعيل من أجل اعتداء وقع على فرد ممن ينتمون اليها و يحتمون بحمايتها لأنها تفهم أن هذا الاعتداء وقع عليها هى لأن المعتدى لو كان يعرف قدرها ويحسب الحساب لعواقب غضبها ما كان يجرؤ على أحد تابعيها بالاعتداء عليه ـ واذا كان هذا لا يزال بين يديك تراه وتسمع به من وقت لآخر ـ مع أن الخلق على ماتعلم من ضعف وذل ولؤم طبع ـ أفتري ربك القاهر القادر الكريم أقل غيرة على أحبابه وخواصه من الخلق فيتركهم يفعل بهم اللئام مايفعلون من أنواع الاهانة ولا يغضب لهم و يحميهم

من أعدائهم - انك ان فهمت هذا فقد ودعت عقلك وزايلت رشدك وأقمت البرهان أبلج واضحاً على أنك لاتعرف ربك كما ينبغى أن يعرف - يجب أن تعلم أيها الأديب المهذب أن غيرة ربنا على أحبابه وحمايته لهم من الخلق فوق ما يقع فى خيالك وأسمى مما يتصوره فكرك - ألم تسمع ان حمايته لهم وغيرته عليهم جعلته يبيد أمما بأسرها ولاسبب لهذه الابادة الاغضبهم - ولو كنت تحفظ القرآن أو تنظر فيه - لمااحتجت الى تنبيهى هذا - ألم يهلك ربنا قوم سيدنا نوح بالطوفان غيرة وانتصاراً لسيدنا نوح صلى الله عليه وسلم - ألم يهلك بالريح الصرصر العاتية قوم سيدنا هود انتصاراً وغيرة وحماية لسيدنا هود صلى الله عليه وسلم - ألم يهلك بالصيحة قوم سيدنا صالح غيرة وانتصاراً وحماية لسيدنا صالح عليه الصلاة والسلام - ألم يهلك قوم سيدنا لوط بالخسف والرجم بالحجارة غيرة وانتصاراً لسيدنا لوط صلى الله عليه وسلم - ألم يهلك قوم سيدنا شعيب بعضهم بالصيحة وبعضهم بالظلة غيرة وانتصاراً لسيدنا شعيب ﷺ - ألم يهلك بالاغراق فى البحر قوم سيدنا موسى وسيدنا هرون صلى الله عليهما وسلم غيرة عليهما وانتصاراً لهما - ألم يهلك بالصيحة قوم صاحب ياسين لما نصحهم أن يتبعوا المرسلين فلم يسمعوا نصيحته وكذبوا الرسل الثلاثة صلى الله عليهم وسلم - ألم يمزق سبأ كل ممزق وجعلهم أحاديث للناس لما أعرضوا عن رسلهم ولم يتبعوهم - وليس هذا فقط بل

تلك عادته مع كل أمة جاءها رسولها وكذبته كما يقول عزوجل – ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون – ولقد روينا لك فيما سبق – وليس العهد ببعيد – قوله تعالى فى الحديث القدسى « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » ان هذا التهديد بالحرب من الله تعالى لمن يعادى له وليا بلغ المنتهى فى التهويل – وانما أبرزه ربنا بهذه الصورة التى تنخلع لها القلوب هلعاً وفزعاً – ليعرف الناس لعباده المتقين حقهم ويقفوا أمامهم موقف الأدب الكامل والاحترام الذي كله اخلاص وتوقير كافين الكف كله عن أى اشارة تقع منهم موقع الغيظ والألم فاهمين حق الفهم قدر من هم فى حمايته مقدرين حق التقدير ماذا يحل بهم من أنواع النكال اذا بدرت منهم بادرة ضد أولئك الصالحين – نعم ان حماية ربنا لعباده الصالحين هى الحماية التى يقال لها حماية بمعنى هذه العبارة وما حماية الأفراد والدول بنسبة حماية هذا الاله القدير العزيز – ان حماية الأفراد والدول لمن تحميه يجوز جوازاً قريباً جداً أن تداس وأن تهتك بداهية سماوية تنزل بالحامي تتركه أثراً بعد عين أو بفرد أقوي من الحامى أو دولة أقوى من الحامية فيغلب هذا الحامى الأضعف بمن هو أقوى منه وبهذا يصبح من كان بالأمس فى حماية أولئك المغلوبين – ذليلا حقيراً يعانى من أصناف الصغار ما يستهين معه الموت – دعك من الخلق وقل لى هل يستطيع الحامي فرداً أو دولة أن

يحمى التابع من رب الجميع أن ينزل به من أشكال الذل مالا قبل له به لا ولا يستطيع أن يحميه من الموت ولا يستطيع أن يحميه من عذاب الله بعد موته وبعد بعثه فانه هو لا يستطيع أن يحمى نفسه من ذلك ــ ولكن من يحميه ربنا يحميه فى دنياه وفى برزخه وفى آخرته ولاتزال راية هذه الحماية على رأسه حتى يدخل دار النعيم المقيم واللذات الأبدية ــ ومن به ذرة من العقل يسمع القادر المنتقم يعلن اعلانا عاما لايخص فرداً دون آخر يهدد به و يتوعد بالحرب كل من عادي له حبيبا ــ ثم يتقدم الى أى حبيب من أولئك الأحباب بكلمة لاتناسب ــ نعم ان هذه هى الحماية التى لو فهم قدرها الناس ما رضوا بسواها ولا عملوا للوصول الى غيرها ــ ومن هذا الوادى فى التهديد الذى ترتعدله الفرائص وتصفر الوجوه قول ربنا عزوجل « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » وقوله عزوجل « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وقوله تعالى « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » ومن فى الدنيا يستطيع أن يقف أمام عباد يصرح من بيده ملكوت كل شئ الواحد القهار أنه يدافع عنهم وينصرهم على أعدائهم نصراً جعله حقاً واجبا عليه ــ ان من يقف أمامهم ــ وحالهم ما ذكر ــ انما يقف أمام من أخذ على نفسه نصرهم والمدافعة عنهم سبحانه وتعالى ولاشك أن من وقف هذا الموقف مخذول لامحالة وهالك دون أي تردد ــ وانى أحب مع هذا أن يقرأ المستخف

بأحباب ربنا المنكر وجاهتهم ومنزلتهم السامية عنـــد ربهم قوله تعالى « ان الله مع الذين اتقوا » نعم أحب أن يقرأها ثم يقرأها فانه يجده عز وجل لا يقول (ان الذين اتقوا معى) ولو قالها لأفادت أنهم موضع رعايته وعنايته ونصره فان العادة تقضى أن لا يتساهـل عظيم في شأن من فى معيته بل يجعلهم دائماً محط نظره وموضع حفظه وكلاءته ـ نعم ما قال مولانا ذلك بل الذي قاله مولانا الجليل(ان الله مع الذين اتقوا) فجعل نفسه فى معية عبيده الاتقياء مبالغة فى عنايته بهم ومحافظته عليهم وما فى هذا التعبير من بأس أبداً فانه هو الرب والسيد على كل حال وعبيده هم عبيده وكفى وانما ذلك تنزل منـــه تبارك وتعالى واكرام لعبيده لا تشرئب الأعناق لمزيد عليه ـ مع ما فى هذا التعبير من التنصيص على المعنى الذى يوقع الرعب والرهبة فى قلوب السامعين ـ المعنى الذى لا يحتمل غـير الاهتمام والعناية والانتصار لاولئك المتقين ـ وبهذه المعية الالهية للصالحين من العباد لم يبق أثر ولا شبه أثر لضعف أو فقر أو جهل أو ذل أولئك الأحباب ـ وكيف يبقى من ذلك وما اليه من النقائص والعيوب شئ ـ والقوى الغنى العليم العزيز المتصف بكل كمال ـ معهم يفيض عليهـم من آثار كمالاته ما يفيض مما لا يعلم قدره سواه عز وجل ـ ومن يسمع مالك الملك و رب العالمين يخبر أنه مع المتقين ثم يدنو اليهم بأى أذى ـ أبه خبل حتى يخفى عليه أنه يكون كامس الدابر ان كان منه ذلك ـ واذا لم يكن لمعادي أولئك

الأحباب الا النار تنتظره يوم القيامة يلاقي فيها من العذاب ما لا تحتمله الجبال ـ لكفت رادعاً وأثراً لهذه المعية وتلك الحرب الالهية فكيف اذا انضم الى ذلك ما يتوالى على ذلك المعادي من النكبات الدنيوية التى تنهال عليه كل يوم من أيام حياته تارة فى نفسه وتارة فى أمواله وتارة فى أهله وتارة فى أحبابه وناصريه مما يكون معه دائما موجع القلب مشوش الفكر مفرق الخاطر وقد لا يفطن للسبب الذي له كل هذه الدواهى ـ انى والله الذى نفسى بيده لا ألوم أبداً من يتقدم الى أولئك الاتقياء من العباد فيقبل أيديهم بل ولا ألوم من يقبل أرجلهم بل ولا ألوم من يتبرك بثيابهم التى تشرفت بمس أبدانهم المباركة لا بل ولا ألوم من يتبرك بنعالهم التى لها الشرف والفخر بأنها مداس أقدامهم الكريمة لا بل ولا ألوم من يتبرك بالتراب الذى يطأون عليه بتلك النعال ـ ولم يخطئ والله منفعته الدنيوية والأخروية رجل يخوض البحار ويقطع القفار فى ظلمات الليل أو فى هجير النهار راكبا نجائب همه تسوقه الأشواق الى حيث يكون أولئك الذين لاذوا بالله واحتموا بحماه واتخذوا بضاعتهم الرابحة طاعته يستيقظون اذا نام الغافلون مستترين بظلام الليالى تشهد عليهم السماوات وكواكبها والأرض وآكامها ووهادها ـ وهم فى محاريبهم ركع وسجود تتدفق سيول عبراتهم على أودية خدودهم تلتهب نيران المخاوف من ربهم فى مراجل قلوبهم وتراهم يصومون اذا أفطر عبيد البطون والفروج ويبذلون

فى وجوه الخير من الأموال ما ملك قلوب كلاب الدنيا وأنساهم ربهم ودينهم ومستقبلهم السرمدى واذا تفرقت قلوب الناس فى شعاب الأهواء والشهوات كانت قلوبهم وقفاً على حب مولاهم عزوجل وحب طاعته وحب أحبابه لايزايلها طرفة عين ملاحظة جلاله وعظمته ـ أشرفت عيون قلوب هؤلاء الناس على ما أعد لهم مما لم ترعين ولم تسمع أذن ولاخطر على قلب بشر فاستهانوا بزخارف هـذه الحياة واحتقروا لذاتها وأغمضوا أعينهم عما لها من جمال مزيف ـ وكيف ألوم من يتقرب الى أولئك الناس على تقربه منهم وحبه لهم وهو انما يتقرب هذا التقرب منهم لأنه يعلم أن معهم من بيده الآخرة والأولى فهو بهذا التقرب يتقرب اليه هو تعالى و يتعرض لحبه حيث انه أحب أحبابه وهو يرى و يعلم منه مبلغ تلك المحبـة ـ وهو تعالى اذا أحب كان للمحبوب كل مايحب فى دنياه وأخراه ـ فالذى يحب أولئك المتقين ويدنو منهم للتبرك بهم انما يفعل ذلك ليسعد فى هذه الحياة وفى الحياة الأبدية ومن يلوم من يسعى ليسعد السعادة المطلقة ـ من هذا يفهم القارئ أن حب الصالحين والتودد اليهم ينفع المحب لا فى دنياه فقط ولا فى أخراه فقط بل ينفعه فى الدنيا والآخرة معا و كيف لا ينفعه ذلك النفع ومع المحبوب من بيده الآخرة والأولى ـ و يفهم أن ايذاء أولئك الأصفياء لا يضر من يؤذيهم فى دنياه فقط ولا فى أخراه فقط بل يضره فيهما جميعا وكيف لا يكون ضرر مؤذيهم بهذه الدرجة والمنتقم

القدير يحاربه ـ اذن ليس اللوم على من يحب أولياء الله تعالى وأحبابه ـ بل اللوم كل اللوم على من يحتقرهم و يستصغرهم ويهون من أمرهم و ينفر الناس عنهم الى حد أنه لوأمكنه أن يحول بينهم و بين الناس بحيث لاتكون بينهم جامعة أبدا ـ افعل فاهما أنه يحمى الناس من الشرك وعبادة غير الله تعالى ـ وهو يحول بينهم وبين ربهم وأحبابه ـ هـذا هو الذى يتوجه عليه اللوم بل أشد اللوم ويجب على المؤمنين أن ينبهوه و ينصحوه و يبينوا له أنه بفعله هذا فى صفوف من يؤذون أولئك الأولياء باحتقارهم ذلك وتخفيف شأنهم وايقاع النفرة فيقلوب الناس منهم وعدهم أصناما تعبد من دون الله عزوجل ـ وهم بهذا يؤذون الناس كذلك بتسببهم فى حرمانهم من التقرب ممن معهم رب الفضل والجود فى الدنيا والآخرة فهم بابعاد الناس عن أولئك الصالحين يبعدونهم عن ربهم وفضله واحسانه ذلك لانزاع فيه ـ انى لا أكتب هذا كله أعالج به طوائف من الخلق موجودين على ظهر الأرض اليوم يدينون بالاستخفاف بصالحى عباد الله ولاتستبعد أن يكون فيهم من يدين بالاستخفاف بسيد الخلق و يعمل بكل جهده فى الحيلولة بينه و بين أمتـه ـ وانى لأستسهل حكمي على هؤلاء بذهاب عقولهم عن أن أقول انهم عقلاء ثم مع عقلهم هذايستخفون بأحباب مالك الملك وهم لايشكون في كلام الله الذي يخبر أنه تعالى معهم ـ وان كانوا يشكون فلا علم لى بشكهم ذلك ـ فانى ان اخترت هذا

الشق الثانى كان ذلك منى حكماً عليهم بأنهم لا يصدقون كلام الله ولا كلام
رسوله وهو حكم فى منتهى القسوة لا أجترئ على اصداره على أحد من أهل القبلة ـ
وانما كان هذا الحكم لازما لاستخفافهم ذلك ـ لأنك رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخبر ـ كما روينا لك قريبا ـ أن أحد هؤلاء الأحباب
يبلغ من القرب والدلال علي رب الآلاء الى حد أنه لو أقسم عليه لأبره .
والحديث صحيح لاشك فيه ـ وسبق أن روينا لك أمثلة وقعت من هذا
القبيل ـ ومعنى هذا أن المسألة ليست خيالية ولا فرضية بل هى حقيقة واقعة
وأمر جدى لاهزل فيه ـ وهذا مقام لا أظن عاقلا يخالف فى أنه من
السمو والعظمة والفخامة بدرجة لا يعلمها حق العلم الا من منحها سبحانه
وتعالى ـ واذا كان الأولياء يصلون من العظم عند خالق هذا الوجود الى
هذه الدرجة فليحكم لى على نفسه من يقف أمام هذا التعظيم الالهى
يحتقر ويستصغر أولئك العظماء ـ أليس حكمه ذلك على الأقل يكون
بأنه يعاند ربه وخالقه ـ ربه يعظم عبيده وهو يحتقرهم ـ وان شاء أن
يخفف الحكم عن نفسه فليعترف بأنه لايدرى مايقول ـ واذا لم يصدق
هؤلاء المستخفون بأحباب ربنا ـ هذا الحديث وطعنوا فيه وهو صحيح ـ
فماذا يقولون فى القرآن وهو يصرح بأن أولئك الأتقياء هم الذين يقول
ربنا عزوجل فيهم ـ كما قدمنا ذلك لك ـ ان الله مع الذين اتقوا ـ فانه
تعالى اذا كان معهم كان معهم كل خير لا تفرق فى هذا بين حى

وميت ولابين نبى وولى فان كلا موصوف بالتقوى وهى مدار هذه المعية الشريفة التى هي ينبوع كل احسان ـ فمتى وجدت التقوى وجدت هذه المعية الخاصة ـ وينبغى أن يعلم أن هذه المعية تقوى كلما قويت التقوي فمعية الله تعالى للأنبياء أقوي منها للأولياء وهى للأفضل من كل أقوي منها للمفضول فليعلم

« هل التوسل بالانبياء والأولياء كفر بالله »

هذا العنوان — وان كان يقع غريبا في نفس القارئ الكريم ـ يقول بوجيه أناس موجودون اليوم على ظهر الأرض فيصدرون أحكامهم بالكفر المبيح للدم والمال على كل من يتوسل بنبي أوولى أن يقضى له ربه حاجته ـ وانا نقول لهؤلاء الناس رويداً رويداً فان المتوسل بالأنبياء والأولياء لايعتقد ولايخطر على باله أن الأنبياء أوالأولياء يقضون له حاجته التى يتوسل بهم الى الله تعالى أن يقضيها له وانما الذى يعتقده ويعمله وينطق به كل متوسل أن قضاء الحوائج بيد رب العالمين لايسأل في قضائها غيره ولايقضيها سواه وليس لمخلوق كائنا من كان أن يقضي حاجة بمعنى يخلقها ويوجدها مستقلا ـ هذا ما عليه المسلمون صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم أبيضهم وأسودهم شرقيهم وغربيهم ليس فى عقائدهم أن لغيره تعالى حظاً من الايجاد والخلق ـ واذن من الأضاحيك أن يقول قائل ان التوسل جائز اذا كان بالأحياء وليس بجائز اذا كان

بالأموات فان هذا القول يشتم منه رائحة أن الحى لحياته يعمل فيمكن أن يقضى الحاجات وأن الميت لموته لايعمل فلا يقضى الحاجات ـ هذاليس من عقائد المسلمين ولايعرفه صغير منهم ولا كبير ونفس التوسل صريح فيما يحكي عن عقائدهم فان المتوسل لايرفع حاجته الا الى ربه ولايطلب قضاءها من غيره وكل ما في الامر أنه يرى نفسه ملطخا بقاذورات المعاصى أبعدته الغفلات عنه تعالى أيما ابعاد فيفهم من هذا أنه جدير بالحرمان من تحقيق مطالبه وقضاء حاجاته وله الحق فى هذا الفهم فان الله تعالى انما يتقبل من المتقين وشؤم المعاصي معروف أثره في الحرمان من الخيرات ـ لأجل هذا يتقدم المتوسل اليه تعالى بأحبابه الذين لايعرفون الاطاعته مبتهلا اليه بجاههم عنده وحرمتهم لديه أن يقضى له حاجته لأجل هؤلاء الأحباب الذين تقدم بهم اليه وهؤلاء الأحباب هم الذين عودهم تعالى أن ينعم عليهم فالمتوسل انحاز اليهم وبهم طلب حاجته عسي أن يحظى بالانعام عليه بحاجته وهو بين هؤلاء المنعم عليهم وهم القوم لا يشقى جليسهم فقط فكيف بمن جعلهم وسيلته الى من عودهم الانعام والاحسان ـ وهو تلطف في المسألة جدير صاحبه أن يسعف بحاجته ولا يحرم منها ـ واذا كان هذا هو في السر فى التوسل فلا أثر اذن فيه لحياة المتوسل بهم أوموتهم فانهم أحباب ربنا تعالى على أى حال كانوا وحرمتهم عنده هى حرمتهم وانعامه عليهم انعامه أحياء كانوا أم أمواتا ـ وهو يكرم

محبيهم كما يهين مبغضيهم على أى حال كانوا فلا بعد اذن أن يكرم محبيهم المتوسل اليه بهم بقضاء حاجته ـ اذا عرفت هذا عرفت أنه فى ناحية وقول من يقول ان التوسل لايجوز الا بالأحياء في ناحية أخرى لاصلة بينهما ولاقرب ـ ونعجب كل العجب اذا سمعت ذلك القائل يؤيد مايذهب اليه بأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توسلوا فى استسقائهم بسيدنا العباس رضى الله عنه ولم يتوسلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فدل عملهم هذا على أن التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم لايجوز لأنه انتقل من هذه الدار ـ هكذا يستدلون على تلك الدعوى ونحن نقول لهم ـ ان هذه الصورة من التوسل لانخالفكم نحن فى أن المتوسل به فيها يتعين أن يكون حيا لأن الناس يخرجون في الاستسقاء من البلد الى خارجها وهناك يكون المتوسلون والذى يتوسلون به فيجب اذن أن يكون المتوسل به حيا معهم حياة دنيوية أما من بارح الدنيا من الأنبياء والأولياء فللبرزخ حكمه عليهم ومن أحكامه عليهم أنهم لايخرجون منه يمشون مع الناس نهاراً جهاراً حتى يكون بهم التوسل خارج البلد ـ هذا هو السر الذى من أجله توسل الصحابة رضى الله عنهم بسيدنا العباس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الصورة صورة الاستسقاء أما في غير هذه الصورة فيجوز التوسل بالحى والميت على السواء كما أفهمناك ـ والفرق بين الحى والميت فى غير صورة الاستسقاء فرق مضحك لانعلم أحداً من علماء

الاسلام لا من المتقدمين ولا من المتأخرين ذهب اليه ولا أشار اليه غير ذلك الرجل الذى فاض اعجابا بنفسه فهوى الى هوة من الاحتقار والازدراء لانهاية لها وعامله الله بغير ما كان يقصد. ذلك الرجل الذي خرق الاجماع في كثير من المسائل وسعر حربا بينه وبين صالحى عباد الله فأعلنه ربهم بالحرب فكان له فى حياته ما كان من اهانات تتلوها اهانات وماذا ينتظر القارئ من الاهانات لرجل عالم فوق أن تتفق كلمة علماء عصره ومعهم حكامه على الحكم عليه بايداعه فى ظلمات السجون ولازال فيها حتى فارق هذه الحياة والله أعلم بما لاقاه فى قبره ـ نحن ما قلنا يوما ان المنح التى يمنحها الله عز وجل لصالحى عباده ـ هم الذين يخلقونها ويخترعونها حتى يتوقف فى ذلك من يتوقف ويقول ان ذلك انما يليق بالحى دون الميت وجعلنا بفرقه هذا نفهم أنه يسند الخلق والاختراع الى الحى دون الميت ـ انما الذي نقوله فى أولئك الصالحين انهم مواضع مباركة يفاض عليها من سماء الفضل الالهى غيوث الرحمات والبركات وأنواع الكرامات ـ وليس بعاقل من يقول ان الحى أهل لأن تفاض عليه تلك البركات وأما الميت فليس بأهل لذلك ـ ان المسألة قابلة لأن نقول فيها ان الميت أولى بالاحسان من الحي لأن الميت أحوج الى الاحسان لانقطاع عمله الذي به تزداد درجاته عند الله ولأنه أصبح بالموت على بينة تامة من ضعف العبودية ومبلغ حاجتها الى فيض الربوبية ولا يعلم الحى ذلك بدرجة علم

الميت مع مايعترى الحى فى فترات غفلاته من دعاوى طويلة عريضة غدا الميت لايعرفها ـ لوقلنا هذالانكون أبعدنا عن الحق فى هذه المسألة ـ وعلى كل حال يجب أن نعلم أن هذه المنح التي يمنحها ربنا لخاصة خلقه ليس لهم فيها أكثر من أن يتمتعوا بها ويفرحوا فرح شكر بظهورها على أيديهم وربنا تعالى هو الذى يتولى منحها لهم أو لغيرهم من أجلهم أما هم فلا دخل لهم في خلق ذلك لاوهم أحياء ولاوهم أموات فليحفظ هذا ثم ليحفظ ـ ومما يدل على طلب التوسل مارواه أحمد وابن خزيمة فى صحيحه وأبو نعيم فى عمل اليوم والليلة والبيهق فى كتاب الدعوات والطبراني فى كتاب الدعاء وابن السنى من أنه صلى الله عليه وسلم توسل وعلمنا أن نتوسل بحق السائلين على ربنا اذا نحن خرجنا الى المساجد ولفظ الدعاء ـ اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاى هذا اليك الى آخره ـ فها هو صلى الله عليه وسلم يتوسل ـ وهو رسول الله ـ بحق السائلين على ربه ويدعو كل مؤمن الى التوسل بهذا الحق الذى جعله ربنا عزوجل للسائلين عليه تفضلا منه واحسانا ـ كما كتب على نفسه الرحمة ـ وكما جعل على نفسه رزق كل دابة ـ وكما جعل على نفسه أجر من عفا وأصلح ـ والسائلون هم الذين عرفوا أنه تعالى هو الذى بيده وحده الخير وغير الخير ليس ذلك لغيره فأعرضوا عما سواه وقصروا عليه تعالى سؤالهم عما يحتاجون اليه دق ذلك أوجل وهؤلاء السائلون كانوا أو يكونون

أوهم كائنون جعل لهم تعالى حق أن يعطيهم ما يسألون بل وفوق ما يسألون لمكانتهم السامية عنده تعالى ـ وانا لا نطيل القول فى هذا الموضوع موضوع التوسل بالأحياء والأموات من الصالحين فان جواز ذلك بل وطلبه أمر يدين به كل مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها لأن المذاهب الأربعة تجيزه ليس بينها خلاف في ذلك والأمة الاسلامية كلها لا تخرج عن هذه المذاهب ـ ولو كان فى التوسل أدنى ضرر يعود على المتوسل ما أجمع عليه علماء الأمة الاسلامية متقدموهم ومتأخروهم وقبلهم رسولهم صلى الله عليه وسلم ـ ولو قال من لا يجيز التوسل ان المتوسل يجعل بينه وبين الله تعالى واسطة فى مسألته وذلك ضرر ـ قلنا له من فى الدنيا يقول ان هذه الواسطة تضر وكيف تضر وهو تعالى الذي أمرنا بها فى الدنيا والآخرة أما فى الآخرة فحسبك فزع الناس الى الأنبياء وتوسيطهم لهم بينهم وبين ربهم فى الشفاعة وسيأتى ذلك فانتظر ـ وأما فى الدنيا فقد جعل سبحانه وتعالى الانبياء وسطاء بينه وبين خلقه فى هدايتهم ـ وجعل الأغنياء وسطاء بينه وبين عباده الفقراء يوصلون رزقه وفضله اليهم ـ وجعل الاطباء وسطاء بينه وبين المرضى يتسببون فى دفع الأمراض عنهم واعادة الصحة اليهم ـ وجعل الطعام وسيطا بينه وبين الحيوانات به يدفعون الجوع عن أنفسهم ويجلبون الشبع وقل ذلك فى الماء وقله فى اللباس وقله في النوم وقله فى النكاح وقله فى مراكب الماء وقله في السعى على الأرزاق ـ فانه لولا الماء لمتنا ظمأ ـ ولولا

اللباس لمتنا من البرد والحر ـ ولولا النوم لمتنا تعبا ـ ولولا النكاح مارأينا الأولاد ـ ولولا المراكب لغرقنا في البحر اذا اقتحمناه ـ ولولا السعي مارأينا الأرزاق ـ وهكذا كل هذا الوجود مبني على الوسائط ولولاها مافعل لنا ربنا شيأ من حاجاتنا بحسب عادته التي أجراها في خلقه ـ بل يوم القيامة لا يدخل الجنة داخل ولا يدخل النار داخل الا بواسطة الأعمال (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) وكل هذا لاينكره جاهل ولا عالم ولا عاقل ولا أحمق اللهم الا من فقد عقله وجن جنونا وجعل يهذي بما لا يدري فمثل هذا لايقام لكلامه وزن ولا يلتفت اليه ـ فاذا كان من يتخذ شيأ من هذه الوسائط كافراً كان من يتوسل بأحباب الله اليه ويجعلهم وسائط كافراً ولافرق أبداً ـ وان قال المانع ولماذا لايرفع السائل مسألته الى الله تعالى بلا توسط أحد ـ قلنا ليس الكلام فى هذا لأنه محل اتفاق انما الكلام فى ذلك التوسيط ونحن نقول لكم وماذا فيه وقد جعله ربنا سبباً لقضاء حوائج عباده وأمر به ـ فرفع الحاجة الى الله تعالى سبب لقضاء الحوائج والتوسل اليه بأحبابه سبب آخر فالمتقدم الى ربه بعباده ليقضى له حاجته متقدم اليه بسببين والذي لايتوسل متقدم اليه بسبب واحد والمتقدم اليه بسببين أولى بفضله واحسانه ممن يتقدم اليه بسبب واحد ـ ولهذا المعنى توسل رسول الله ﷺ بحق

السائلين على ربه وعلمنا أن نتوسل بذلك كما تقدم ـ بل روى الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني عنه ﷺ ـ أنه جاءه رجل ضرير البصر فقال ادع الله أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء (اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يامحمد انى توجهت بك الى ربي في حاجتى هذه لتقضى اللهم فشفعه في ـ ولما دعا الرجل كما أمره صلى الله عليه وسلم استجاب الله له وعافاه وأصبح بصيراً ـ فليقل لنا أولئك المانعون ولينصفوا ـ أهم أعلم بما يليق بالله عزوجل من سيد رسله وهو يأمر الضرير أن يوسطه بينه وبين ربه في حاجته لتقضى أظنهم لا يستطيعون أن يقولوها فليتفضلوا اذن وينضموا الى اخوانهم أهل الاسلام بما فيهم رسولهم ويتنازلوا عن هذا المذهب الواضح البطلان المعاند لصحيح البرهان وان أبوا فليعلموا أنهم الذين يجادلون فى الحق بعد ما تبين

« الاستغاثة بأحباب الله عند الشدائد »

أما استبشاع فريق من الناس واستنكارهم استغاثة الناس بأحباب الله تعالى عند الشدائد فهو استنكار غريب واستبشاع انما يصدر من رجل يستبشع ما أمر الله به بل أقول ان انكار هذا انكار للمحور الذى عليه تدور مصالح الناس فى هذه الدار بل هو ينكر ما جبلت عليه الفطر من مبدئها لمنتهاها فان ربنا عز وجل أمرنا ـ وانظر أمرنا ـ أن نتعاون

على البر والتقوى ووعد من امتثل أمره هذا وعدا تطرب الآذان لسماعه
وتطير القلوب شوقاً اليه ولاتذكره الجوارح الا اندفعت اندفاع السهم الى
ذلك التعاون لاتعرج على شيء سواه ـ ذلك الوعد الكريم هو أن يكون
ربنا القدير الكريم في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ـ ومن يسمع
أن من بيده الخير كله يكون مع من يعين اخوانه ثم لايقضي كل أوقاته
في تلك المعاونة ـ عرف الناس أن معاونة بعضهم بهذه الدرجة وعرفوا مبلغ
حرص كل عاقل على الوصول الى هـذه الدرجـة ليكون رب الآخرة
والأولى معه بمعونته ونصره وتوفيقه وستره ـ فلما عرفوا ذلك صار أحدهم
اذا عرضت له منفعة يريد أن يجلبها أومضرة يريد أن يدفعها ـ يفزع الى
اخوانه يناديهم ويستعين بهم طالبا اسعافهم له ومعونتهم التى أمروا بها
من خالقهم ووعدهم عليها ذلك الوعد الحق ليقوي بهم على جلب مصلحته
أودفع مضرته والانسان قليل بنفسه كثير باخوانه ضعيف وحـده قوي
اذا انضموا اليه فاذا سمعه الناس يستغيث بهم هرعوا اليـه وزاحموه على
قضاء حاجته ـ وكذلك يفعل هو معهم اذا استغاثوا به وهكذا يتبادل
الناس هـذا التعاون في ليلهم ونهارهم في سرائهم وضرائهم ضعفوا امام
حاجتهم أم لم يضعفوا ـ هم يرون هذه الاستعانة وهذا التعاون لذة يتقاضونها
ويحنون اليها بطبعهم الكريم من ناحية ومسارعة الى امتثال أمر ربهم
لينالوا وعده المحبوب من ناحية أخري ـ وهـذه الاستعانة المرغب فيها

غير الاستعانة الخاصة بالله تعالى التى لاتطلب من سواه فان الاستعانة بالخلق معناها طلب المعونة منهم على وجه التسبب لمعونة الله تعالى التى هي خلقه وايجاده لحاجاتهم التى يطلبونها منه . فمعونة الخلق سبب ومعونة الله مقصد ـ خفي هذا الفرق على ذلك الفريق فجعلوا الاستغاثة بالخلق والاستعانة بهم عند الشدائد منكراً عظيما وإشراكا بالخالق عزوجل ـ كأنهم ـ عافاهم الله ـ يرون أن المستعين بانسان يطلب منه أن يخلق له مايستعين به عليه ـ وهو فهم من لم يعرف الدين ولا أهل الدين ـ وكيف يعرف ذلك من يكفر الناس بشئ هو قطب رحى هذا الوجود وعليه مدار نظامه فان الاستغاثات والاغاثات لو منعت بين الناس لوقفت الحركة وتعطلت المصالح وأصبحنا نرى الناس ينظرون بأعينهم الى من يراق دمه أو ينهب ماله أو يهتك عرضه فلا يلتفتون اليه وهو يستغيث بهم بل يرونه أحق بما يفعل به باستغاثاته تلك وذلك القضاء النهائى على الانسانية وآثارها المباركة بل هو انسلاخ من الحيوانية ونزوع الى خصائص الجمادات فان الاستغاثات والاغاثات معروفة بين الحيوانات التى لاتعقل ولاتعرف الجمود أمام مقتضيات الاغاثة الا من الجمادات فقط . فهل يريد من يمنع الاستغاثات أن ننحاز الى نوع الجمادات ـ قد يقول ذلك الفريق أنا لا أنكر الاستغاثة بالحي انما كل انكاري على الاستغاثة بالميت لأن الحي له حركة وعمل فاذا استغيث به تحرك وسعى الى المستغيث وعمل معه

مايطلبه منه أما الميت فلا يتأتي منه ذلك لهـذا أري الاستغاثة به كفراً وشركا يحل به دمه كمرتد عن دين الاسـلام ـ وانا نضحك بملء فينا أو نأسف أشد الأسف لهـذا العقل الذى ينقل الشئ من مأمور به مرغب فيه أشد الترغيب الى منهى عنه منفر عنه كل التنفير وهو هو بعينه لم يتغير أى تغير فان الاستغاثة بالميت صيغتها هى هى التى يستغاث بها بالحى وعقيدة المستغيث بالميت هى بعينها عقيدة المستغيث بأخيه الحى يستغيث بكل منهما أن يعينه على قضاء حاجته بصفته السببية ولايعتقد لا فى الحى ولا فى الميت أن له أدنى دخل فى الايجاد والخلق ـ ولعـل ذلك الفريق يرى أن الميت صار كالحجر لاحس ولاحركة له فكيف يستغاث به ـ وانا نعوذ بالله من اعتقاد مثل هذا فى أي ميت فضـلا عن أحباب ربنا عزوجل ومع ذلك نتكلم معهم حتى على هذا الفرض فنقول ان غاية ماحصل ممن يستغيث بالميت الذى صار كالحجر فى نظركم ـ أنه اعتقد ماليس سببا سبباً ومن هذا حاله معذور من يرميه بأنه بلغ من الجهل درجة كبيرة فهو فى استغاثته عابث ولافائدة له منها والذي ينبغى أن يتنبه مثل هذا من هذه الغفلة العظيمة وأن يعمل على تخليص نفسه من هذه الغباوة الفريدة فاذا كان ذلك ـ استيقظ ووجه استغاثته الى من يمكن أن يسمعه ويغيثه ـ هذا الذي نقرره فى مثل ذلك الغبى الفرضى ولايمكن أبداً أن نقول لمثل هذا أنت تستغيث بمن لايخلق فاما أن يخلق حتى نصدر عليـه حكمنا بكفره

واشراكه فانه حينما يستغيث بالأحياء الذين يجيزون له الاستغاثة بهم — لا يعتقد فيهم أنهم يخلقون له ما يستغيث بهم لأجله والا كان ذلك كفراً مع أن الله تعالى أمر به وهل يأمر ربنا بالكفر — كل هذا نقوله على تقدير أن المنتقل من هذه الدار من أحباب الله تعالى لا قيمة له أصلا ولا اعانة له بحال — ونحن لا نقوله ولا نجيز لأحد أن يقوله ونري ضلالا عظيما أن يقوله مؤمن بالله تعالى — ذلك أنا أبنا بالبرهان القاطع — فيما سبق — أن الانبياء أحياء في قبورهم يرون و يسمعون و يعملون حتى الحج والتلبية وذلك شئ كثير — فهل كثير على من ذلك حاله أن يتولى اعانة غيره كما يعينه أي حي وان كان ذلك الغير لا يشعر به ولا يراه — وهذا القرآن يصرح أن الشهداء أحياء يرزقون أي يأكلون و يشربون و يتلذذون بذلك تلذذ الحي الذي يرزق في هذه الحياة فانه تعالى سوى بينهما في أنه يرزق كلا منهما وكذلك من هذا حاله ليس بكثير عليه أن يعين سواه — وقد عرفت مما سبق أيضاً أن أرواح الصالحين تجول في هذا العالم باذن ربها وتقول ماتقول وتفعل ماتفعل لمن شاء ربنا أن تقول له وأن تفعل. ومن يقول ان أمثال هؤلاء كثير عليهم أن يعينوا — زد على كل هذا ما صرح به القرآن من أنه تعالى مع الذين اتقوا ولم يقل القرآن انه معهم وهم في دار التكليف فقط بل أطلق فدل ذلك على أنه معهم في كل حال في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة — ومن في الدنيا يرى كثيراً على الله تعالى أن يكرم هؤلاء

الأحباب باغاثة من يستغيث بهـم بواسطتهم أو مباشرة ـ وليتأكد القارئ أن هذا الذى يستغيث بهم لا يستغيث بهم جزافا بل يستغيث بهم لأنهم أحباب ربنا وأولياؤه فاهما أنه تعالى وليهم فى الدنيا والآخرة ولذلك لا نراه أبداً يستغيث بسواهم ممن فارق هذه الحياة اذن هـذه الاستغاثة موجهة فى الحقيقة الى ربهم ووليهم. ومن استغاث بعبدك وهو يعلم أنه لا حول له ولا قوة الا بك فهو مستغيث بك واذا أنت سخرت ذلك العبد في اغاثته ومكنته من ذلك فأنت المغيث في الحقيقة والعبد آلة هذه الاغاثة وهـذه الحقيقة لا تخرج المستغيث عن أن يكون مستغيثا بعبدك ولا تخرج العبد اذا أغاث بقوة سيده عن أن يسمي مغيثاً فليعلم ـ ثم كثيراً ما ترى بعض الناس يستغيث بنبي أو ولى فتسأله ماذا يعمل لك هذا وهو مثلك ـ أيخلق لك ماله تستغيث به فيبادرك في الحال بقوله اني أستغيث به لأنه أقرب الى ربى منى فلعله يتوجه الى ربه بوجهه الوجيـه عنده و يبتهل اليـه بلسانه الطاهر أن يقضى لى حاجتى. وقد سأل كاتب هذا كثيراً من الناس هذا السؤال مرات كثيرة فأجبت بهذا الجواب بعينه من أناس عامة عند استغاثتهم ببعض الصالحين ـ فاذا نحن حللنا استغاثة الناس بأحباب الله تعالى الأموات الى هذا المعنى الذي يقصدونه و يفسرون به استغاثاتهم ـ وهو معنى في غاية الصحة والوضوح ـ فكيف تكون كفراً تلك الاستغاثة واشراكا بالله عزوجل تحل به دماؤهم وأموالهم

وفروجهم . ان هذا الذي يقولونه لايخالف أبداً محض الايمان ـ وان قال هذا الفريق ان هذه ألاستعانة والاستغاثة بالاموات لم تكن في الصدر الأول ولاحصلت من واحد من سلفنا الصالح ولوكانت خيراً لكانت منهم وما فاتهم ـ فأقول ان هذا النفى اللسانى سهل جداً لا يكلف النافي أكثر من تحريك لسانه حركة بسيطة أما اثبات ذلك فدونه أهوال فان هذا النافي ما كان مع كل فرد من أفراد السلف الصالح يسمع كل كلمة ينطقون بها ويرى كل عمل يصدر منهم حتى يصح منه هذا النفى الكلى ـ قد يقول انه لم ينقل عنهم ولو كان لنقل لنا من ذلك شئ ـ وانا نقول له ان النقل لم يحط بكل ما كان في ذلك العهد فكم من أعمال وأقوال كانت ولم تنقل ولو نقل كل ماصدر في ذلك الزمن من قول وفعل لضاقت عنه الأوراق ووقفت عجزا عن نقله الأقلام ـ على أنا نقول ان أئمة هذا الدين قادة الخلق وورثة الأنبياء ـ قد استغاثوا فى عصورهم المختلفة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبغيره من الأنبياء والصالحين وهم أعلم الناس بالدين وبأسراره وما يجيزه وما يمنعه وقد نقل ذلك عنهم وهذه الكتب بين أيدينا فيها من ذلك الكثير ثم الكثير . وان شئت أن تسمع من ذلك شيأ فدونك . روى البيهقى أن اعرابياً جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقى به وأنشد أبياتا في آخرها

وليس لنا الا اليك فرارنا ... وأين فرار الخلق الا الى الرسل

وروي الطبراني أن سيدنا سواد بن قارب أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التى فيها

فأشهد أن الله لارب غيره　　وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة　　الى الله يابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل　　وان كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة　　بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

وذكر العلامة بن حجر في كتابه المسمي بالصواعق المحرقة أن الامام الشافعى رضى الله عنه قال

آل النبي ذريعتى　　وهمو اليه وسيلتى
أرجو بهم أعطي غدا　　بيدي اليمين صحيفتى

وقال شمس الدين بن جابر الأندلسي

قسما لئن أبصرت دار محمد　　وشهدت من مغناه معنى مبهجا
لأعفرن بتربها كرما له　　خدا بمسكوب الدموع مضرجا
ولأدعون دعاء عبد مخلص　　ياسيد الكونين أنت المرتجى
يامن اذا لجأ الضعيف لبابه　　أبت المكارم أن يضيع من لجا
عظمت ذنوبي والعظائم كلها　　بعظيم جاهك نرتجى أن تفرجا
خذ بيدى بيدى أغثنى اننى　　أصبحت في بحر الذنوب ملجلجا
من منقذي الا شفاعتك التى　　تنجى اذا لهب الجحيم تأججا

صلى عليك الله ماصدع الدجى صبح تلألأ ضوءه وتبلجا

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني

ياسيد الرسل الذى فاق الوري بأسا سما كل الوجود وجودا
هذى ضراعة مذنب متمسك بولائكم من يوم كان وليدا
يرجو بك المحيا السعيد وبعثه بعد الممات الى النعيم شهيدا
صلي عليك وسلم الله الذي أحيا بك الايمان والتوحيدا

وقال الامام تقى الدين ابن دقيق العيد

يارسول المليك دعوة من زا د به شوقه وصح وداده
لك أشكو حالا من الدين والدنيا شديدا غلوه واقتصاده
هو هم ثنى السرور وغم كدر العيش عكسه واطراده
وعليك السلام من ذي اشتياق أنت فى الحشر كنزه وعتاده

وقال الامام كمال الدين بن الزملكانى رضى الله عنه

ياصاحب الجاه عند الله خالقه مارد جاهك الا كل أفاك
أنت الوجيه على رغم العدا أبدا أنت الشفيع لفتاك ونساك
يافرقة الزيغ لالقيت صالحة ولاشفي الله يوما قلب مرضاك
ولاحظيت بجاه المصطفى أبدا ومن أعانك فى الدنيا و والاك
ياأفضل الرسل يامولى الأنام ويا خير الخلائق من انس وأملاك
هاقدقصدتك أشكو بعض ماصنعت بي الذنوب وهذا ملجأ الشاكى

قد قيدتنى ذنوب عن بلوغ مدي　　قصدى الى الفوزمنها فهى أشراكى
فاستغفر الله لى واسأله عصمته　　فيما بقى وغنى من غير امساك
عليك من ربك الله الصلاة كما　　منا عليك السلام الطيب الزاكى

وقال جمال الدين بن نباتة المصرى

ياخاتم الرسل لى فى المذنبين غدا　　علي شفاعتك الغراء تعويل
وأنت أكرم من طاف الرجاوسعى　　الى حماه فكان القصد والسول
صلى عليك الذي أعطاك منزلة　　شفيعها في مقام الحشر مقبول
أنت الملاذ لنا دنيا وآخرة　　فباب قصدك فى الدارين مقبول

وقال العارف بالله الشيخ حسين الدجانى مفتى الشافعية بيافه

ياخير مولى عن الجانى المسىء عفا　　وطاب من طيبه العرب البهاليل
ماثم للعبد ملجا غير سيده　　وماله فى سوى علياك تأميل
أنت المياذ الملاذ المستجار به　　فليس الا اليك الأمر موكول

وقال سيدى محمد البكرى الكبير رحمه الله

ما أرسل الرحمن أو يرسل　　من رحمة تصعد أوتنزل
في ملكوت الله أوملكه　　من كل مايختص أو يشمل
الا وطه المصطفى عبده　　نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها　　يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به فى كل ماترتجى　　فانه المقصود والمأمل

وعذ به من كل ما تختشى فانه الملجأ والمعقل
وحط أحمال الرجا عنده فهو شفيع دائما يقبل
وناده ان* أزمة أنشبت أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه وخير من فيهم به يسأل
قدمسنى الكرب وكم مرة فرجت كربا بعضه يذهل

نقلت هذا كله من كتاب شواهد الحق للشيخ المحب لرسول الله ﷺ حبا ظهرت آثاره أعظم ظهور الشيخ يوسف النبهانى أطال الله حياته — والذى نقلته قطرة من بحر مما فى هذا الكتاب ومافى هذا الكتاب قطرة من بحر مما قيل فيه صلى الله عليه توسلا واستغاثة به عليه الصلاة والسلام — واذا أضيف ما قيل فى غيره صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والأولياء الى ما قيل فيه صلى الله عليه وسلم كان لاحصر له نثراً ونظما فليكتف الناظر هنا بما نقلنا. ولينظر كلام أئمة الاسلام وسادة الأمة فيه صلى الله عليه وسلم وفى مخاطبتهم له واستغاثتهم به عليه الصلاة والسلام يجد أن ماعليه الأمة مع علمائها فى جهة ومايقوله ذلك الفريق فى جهة أخرى — وأقرب من كل هذا أن تقول لمنكر صدور ذلك من السلف الصالح — سلمت لك ذلك ياأخى ولكن هل كل مالم يفعله السلف الصالح منكر لايجوز فعله . ان هذا انما يقوله الجاهل بدين الاسلام يريد بجهله هذا أن يلصق بهذا الدين أنه من القصور بالدرجة التى لايحسن معها التصرف فى الحوادث التى

تحدث بعد عهد نزوله . وهل يرضى له بذلك مسلم وهو الدين الذي نزل صالحا لكل زمان ومكان لديه من سعة النظر مالا يتوقف معه عن الحكم على أي حادث بحكمه المناسب له . ولقد كان أن حدثت له حوادث لا تحصى بعد زمن تشريفنا به وحكم عليها كلها . ومن بينها ماحكم عليه بالوجوب القطعي . ولا يزال في استعداد لأن يحكم على أي حادث يحدث ـ فلا يضر جواز أي عمل أنه لم يعمل الا بعد زمن طويل من الصدر الأول ـ بقي أن يقال ان بعض العوام اذا استغاث باولئك الأحباب يخاطبهم في استغاثته بألفاظ ربما فهم منها سامعها أنهم يطلبون منهم مالا يليق أن يطلب الا من الله تعالى ـ وانا نقول فى هذا انك لوسألت هـذا الذى يوهمك قوله ويجعلك تسيئ الظن به لأزاح مافى نفسك باظهار مكنون قلبه ومخبوء إيمانه الصريح الصحيح الذى لم يطرأ عليه من أمراض القلوب مايخدشه ـ ولقد راجعناهم ـ كما قلنا سابقا ـ ثم راجعناهم فكان يملأ قلوبنا سروراً مانسمع منهم من عبارات تشف عن إيمان فى غاية الصفاء والمتانة فكنا لانستغرب ذلك فان الفطر السليمة لايخفى عليها ما يناسب الخالق وما يناسب المخلوق ـ نحن نقول هذا في الفطر السليمة بمجردها فكيف اذا شبت وشابت فى أحضان المؤمنين من آبائهم وجيرانهم وعلمائهم ـ على أنك لو دققت النظر قليلا لوجدت في لغتنا مايسيغ تلك العبارات ولا يأباها فانك تستطيع أن تقول فلان هـدانى وأضلنى وأغنانى وأفقرنى وأحيانى

وأماتني وأسعدني وأشقاني ورزقني وفرج كربي وأقالني عثرتي ـ اذا تسبب لك فيما تنسبه اليه ـ وهذا القرآن يقول للنبي صلى الله عليه وسلم (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) ويقول فى الأصنام « انهن أضللن كثيراً من الناس » ويقول فيمن تسبب في حياة نفس (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) ويقول « فارزقوهم منه » ويقول حاكيا عمن حاج ابراهيم فى ربه لما قال له سيدنا ابراهيم (ربى الذى يحيي ويميت ـ قال أنا أحيي وأميت ـ فسلم له ذلك سيدنا ابراهيم وانتقل الى حجة غيرها لأنه يعلم أنه صادق فيما يقول ولا يأبى الدين مايقول لأنه على معنى أنه يتسبب في حياة من أشرف على الموت وموت من هو فى عافية ـ وغير ذلك كثير في الكتاب ولم يعد ذلك اشراكا بالله تعالى ولاله بمخالفته أي صلة ـ والسنة صرحت باسناد تفريج الكروب واقالة العثرات الينا ـ ولوأنا تنطعنا لقلنا ان هذا كفر فان الاحياء والاماتة والهداية والاضلال والرزق والاشقاء والاسعاد وتفريج الكروب واقالة العثرات وما اليها ـ لايقدر عليها الا الله عزوجل فمن أسند منها شيأ لغيره عزوجل فقدمرق من الاسلام وكان مشركا ـ نحن لم نبلغ من الجهل بلغتنا الكريمة الى هذه الدرجة وهي التى تسند الأفعال الى الأسباب اسنادا اعتياديا ليس فيه أدنى حرج ـ فلو أنا أوتينا سعة من العلم واحاطة بأسلوب لغتنا وبصيرة باستعمالات كتابنا وسنة نبينا ـ لخففنا من حدتنا وهونا من غضبنا وشدتنا على من يخاطب أحباب

ربنا بما يخاطب به ربنا وقلنا ان هذا من ذاك وتصرفنا تصرف ربنا ونبينا فى مثل هذه الاسنادات وقلنا ان الخطب هين ـ لم نفعل ذلك وأبينا الاأن نشدد ـ ومن شدد شدد عليه ـ ونحكم على عباد الله المؤمنين بالكفر الصريح والشرك المحض ونتبع ذلك بآثاره التى منها القتل واراقة الدماء ـ يجب على ذلك الفريق ـ أن يعرف أن ايجاد الفعل لابد له من أمرين ـ سببه الذى كلف به الخلق ـ والأمر الثانى الايجاد والخلق الذي يصدر من الله تعالى ـ كل أفعال الخلق هكذا — فباعتبار مباشرة الأسباب يسند الفعل الى الخلق اسناداً تعترف به اللغة والشرع معا ـ وباعتبار الخلق والايجاد يسند الفعل الى الله تعالى ـ ولقد وصل الاسناد الى السبب أن يقول ربنا عزوجل لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير » فنسب اليه الخلق والايجاد باعتبار التصوير والنفخ ـ كما أسند اليه ابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى لما أنه تسبب فى ذلك ولم يطلق ذلك ربنا الا لأنه تعالى يجيز لغيره من خلقه أن يعبر بمثل تلك العبارات دون أن يكون فيها شيء متى كان القلب ينطوى على ماللخلق وما للخلاق فيسند الى كل ما يليق به ـ واذا أحاط القارئ بكل هذا عرف حق المعرفة أين دين الله وأين تلك الأحكام بالشرك على من يخاطب فى استغاثته أحباب ربنا بما لا يكون ايجاداً وخلقا الامن ربنا عزوجل ـ وعلمت ماذا من الاثم الموبق على من يقتل مؤمنا

لتعبير سائغ لغـة وشرعا كتلك التعبيرات التى هى موضوع كلامنا ـ وعلمت أى جرم يرتكبه من ينطوي لأهل الايمان على العداوات الخطرة ويواجههم بالمخاطبات الجافة الخشنة و يعاملهم بالمعاملات التي لاتليق الا بأعداء الله الكافرين مع أن الله تعالى يجيز مايمنعون وهوالذي باسمه يفعلون مايفعلون من المنكر مع أوليائه وعباده الصالحين ـ ولوأن أولئك الناس قالوا لمن يعبر بتلك العبارات الموهمة فى نظرهم ـ الأفضل والأحسن أن أن تبدل هذه العبارات التيقد يفهم منها سوأ من يسيء الظن بالمؤمنين ـ بعبارات لاتوهم ولايفهم منها أحـد مالعله يسيء ظنه بهم ـ لو قالوا ذلك ماقالوا من يقول لهم انكم أبعدتم عن الحق وقلتم ما يعـده الانصاف خطأ فان مالايوهم خـير مما يوهم بلا نزاع ـ هذا تحرير القول فى هذا الموضوع الذي غالى ثم غالى فيه ذلك الفريق الذى نشير اليه الى درجة أن جعله من أبواب الكفر التى لا يمترى فيها إنسان ـ وقد عرف القاريء مما تقدم مبلغه فليحرص عليه فانه لايجده الا فى هذه العجالة التى اشتد حرصها على بيان الحق غير تابعة فى ذلك لمخلوق والله تعالى أعلم

« هل التردد والتودد الى أحباب ربنا عبادة »

وأما القول بأن التردد الى صالحي عباد الله تعالى والتودد اليهم واجلالهم والتقرب منهم على أى حال كانوا ـ فى درجة العبادة لهم وبهذه العبادة يكون الانسان مشركا بالله تعالى مرتدا عن الملة الاسلامية ـ فهو قول تقشعر

منه أبدان العقلاء ولايليق أن ينظر اليه المؤمن الابعين الازدراء والمقت ـ قول اذا قيل انه صدر من مجنون أو ممن لا يعرف دين الاسلام – وجد ذلك القيل ارتياحا فى نفوس المؤمنين وصادف هوى فى نفس كل من يعرف لدين الاسلام قدره ـ ولوأنا قلنا بموجب ذلك القول لكانأكبر المشركين بالله عزوجل وأعظم العابدين للخلق الخارجين عن الملة الاسلامية ـ هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ماتقدم لناحكايته عنهم من تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم شئ اليه المنتهى في اجلال الخلق وتعظيمهم ولانظن أبدا أن يلحق بهم عبد فى هذا الميدان مهما كان محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولغيره من الأنبياء والأوليا ـ واذن يكونون أكبر المشركين كما قلنا ـ لذلك التعظيم الذي روينا بعض مايدل عليه فيما سبق ـ ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقر ورضي بأكبر الشرك ـ ولعل حضرات القائلين بأن ذلك التعظيم عبادة يفزعون من هذا ويضطربون ـ ليفزعوا وليضطربوا وليرتقوا السماء ولينزلوا الى الأرض فليس لهم من هذا مخرج الى يوم القيامة ـ لقد قلنا لهؤلاء الناس ونقول ولكنهم لا يفهمون ولن يفهموا ـ ان اجلال هؤلاء الأصفياء وتعظيمهم هو تعظيم لربهم الذى عظمهم وأنعم عليهم وأخبر أنه معهم معية هداية وتوفيق ونصر واكرام ـ اذن هذا التعظيم يفعله الناس طمعا فى احسان ربهم وهربا من اهانته لأنه يحسن الى من أحب أحبابه ويهين من

أهانهم ـ ولهذا نجد الناس لايعاملون الفسقة بتلك المعاملة الجليلة أبدا بل
تراهم يعاملونهم بعكس مايعاملون به الصالحين يفرون من الفاسق أينما كان
وربما رأيتهم يحولون أنظارهم عنه اذا جالسهم لئلا تقع عليه وتراهم يتسللون
من مجلسه واحدا واحدا يحملهم على ذلك فهمهم أن هذا الفاسق
مغضوب عليه من ربه فهو شؤم على نفسه وعلى من جالسه والبعد عن
الشؤم يمن وبركة ، ومختصر القول فى حب الصالحين و زيارتهم والتردد
اليهم فى رياض الرحمات التى يحلون بها أحياء وأمواتا ـ ان ذلك مهما بلغ
من العظم عند المؤمن لم يتجاوز درجة الحب فى الله تعالى والحب فى الله
عزوجل معروف قدره في نظر الدين من أنه أوثق عرى الايمان والذى أفهمنا
أنه أوثق عري الايمان حضرة نبينا صلى الله عليه وسلم ـ فلينظر القاريء
أين هذا مما ننقله ونحكيه ـ نعم ان عجيبا أن يكون الشيء أرقي المقامات
فى دين الاسلام ثم يحكم عليه أناس بأنه كفر واشراك ـ ليعلم هؤلاء الناس
أن العبادة التى يعرفها المؤمنون هى نهاية الحب والخضوع والخوف والرجاء
والطاعة والذل تقربا الى المعبود بحق الذى له نهاية الانعام والاحسان
و بيده الضر والنفع والاسعاد والاشقاء والاعزاز والاذلال فى الدنيا
والآخرة ـ هذه هي العبادة وهذا هو المعبود الذي لايرضى المؤمنون عن
عبادته بدلا ولو أحرقوا بالنيران ونشروا بالمناشير ـ وانى أتحدى كل من
يقول ان الناس يعبدون أحباب ربنا أن يأتونا بمثال واحد فقط من

المؤمنين يعتقد في نبي أوولي أن له نهاية الانعام والاحسان وبيده الأمر كله وبناء على هذا الاعتقاد يخضع له الخضوع كله ويتقرب اليه بشئ من العبادات ـ انهم ان فعلوا ذلك ـ ولن يفعلوا الى قيام الساعة ـ صدقنا كل مايقولون وكنا معهم نحول بين الناس و بين أولئك الصالحين نحميهم من الاشراك بهم ـ انى أقول وكل عاقل يقول معى ـ ان أحقر وأجهل وأسفل وأفسق مؤمن على وجه الأرض لوقلت له تعال اسجد لفلان الولى أوالنبي تعبده بذلك من دون الله أو تقرب اليه بأى نوع من أنواع العبادة التى تعبد بها ربك أوصرحت له بلفظ العبادة وقلت له تعال أعبد هذا الولى أوالنبي ولو كان سيد العالمين صلى الله عليه وسلم أوادعه أن يقضي لك حاجة من دون الله ـ ما كان بينه و بينك ـ ان كان يعتقد أنك عاقل جاد في قولك ـ الا القتال ان قدر عليك أوالهجر طول حياته ان كان لايقدر ـ وكيف لايفعل ذلك معك وهو يعتقد أنك تدعوه الى شقائه الأبدى ـ وقد يشك في سلامة عقلك مهما تظاهرت له بذلك وبرهنت له عليه ـ و بهذا تعلم أنه يفترى الكذب على الله تعالى وعلى عباده من يقول ان محبى الأولياء يعبدونهم و يصدق عليهم قول الله تعالى « مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفي » فان الآية تقول بصراحة « مانعبدهم » فأثبتت أن أولئك المشركين كانوا يعبدون الأصنام عبادة حقيقية كما يعبد المؤمنون ربهم الحق عزوجل وقالت آية أخرى « ومن الناس من يتخذ من دون

الله أنداداً يحبونهم كحب الله » فهذه الآية صريحة فى أن عباد الأوثان كانوا يسوونها بالله تعالى فى المحبة بل أخبر ربنا تعالى فى آية أخرى أن أولئك المشركين كانوا ينظرون الى آلهتهم نظرة أكبر من نظرتهم الى رب العالمين ويرجحونها عليه — ذلك أنهم كانوا اذا جعلوا لله تعالى قربانا وجعلوا لأصنامهم قرابين سمحوا لأنفسهم أن يأخذوا مما جعلوه لله ويضيفونه الى ماجعلوه لأولئك الحجارة أما العكس فلا تسمح به نفوسهم أبدا وقد حكى تعالى ذلك بقوله « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون » ومما يدلك دلالة قاطعة على أن أولئك المشركين كانوا يعتقدون أن تلك الحجارة آلهة حقا تستحق العبادة تنفع وتضر وتفعل فعل الاله — أن التعصب لاولئك الأصنام وصل من أولئك الناس لدرجة أن وقفوا أمام السيوف والرماح والنبال وجها لوجه متعرضين للأهوال والحتوف مصممين التصميم كله على أنهم اما أن يموتوا عن آخرهم محتفظين على عقيدة أن تلك الحجارة آلهة حقا مع الله تعالى بل أرجح عندهم منه أو يقضوا القضاء الأخير على من يدعوهم الى عقيدة توحيد الله عزوجل ونبذ هذه الأصنام واعتقاد أنها حجارة لاتضر ولاتنفع . نعم لقد استخفوا الموت وأهواله عن أن يقبلوا هذه العقيدة وكانت تلتهب قلوبهم ناراً على من يمس تلك الحجارة بكلمة

لاتناسب وكانوا مملوئين بعقيدة أن تلك الآلهة تعطي وتمنع وتنصر وتخذل وتعز وتذل ـ ولا أدل على هذا مما روته الصحاح عنهم أنهم كانوا يقولون يوم أحد بأعلى أصواتهم « أعل هبل » أي يا الهنا المسمى بهبل ندعوك ونطلب منك أن ترتقي وترتفع على اله المسلمين بقهره والغلبة عليه دائما كما ارتقيت وارتفعت عليه اليوم فانك ان تماديت على مانطلب منك من غلبة اله المسلمين نتمادى نحن على الانتصار على المسلمين كما انتصرنا عليهم اليوم ـ وهذا يدل قطعا على أن القوم كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً أن الذي نصرهم وخذل المسلمين هو آلهتهم وجاء هذا النصر من أن تلك الآلهة غالبت اله المسلمين فغلبته ولهذا هم يطلبون من هبل الذي هو أحد آلهتهم أن يدوم على هذه الغلبة ـ ومن هو اله المسلمين عندهم ـ هو رب العالمين الذي ان سئلوا عمن خلق السموات والأرض لاعترفوا بأنه هو ـ ومع ذلك ينطوون على أن آلهتهم تغلبه وتنصر عابديها على عابديه ـ ولذلك كانوا يفتخرون على المسلمين فى ذلك اليوم ويقولون لهم ـ لنا العزى ولا عزى لكم ـ أي اننا لما كان لنا الاله المسمى بالعزى قوينا عليكم بقدرته وغلبنا كم وانتصرنا عليكم ولم يستطع ربكم أن يقاوم عزانا ولو كان لكم العزى كما هو لنا ماجري لكم اليوم ماجرى فان العزى كان يحفظكم وينصركم كما حفظنا ونصرنا فأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يردوا عليهم فى الكلمة الأولى بقولهم « الله أعلى وأجل » أى ليس الأمر كما تعتقدون من أن آلهتكم أعلى

من ربنا بل الأمر بالعكس ـ وأفعل التفضيل يراعى عقيدة المخاطبين أو هو على غير بابه ـ وأن يردوا عليهم فى الكلمة الثانية بقولهم « الله مولانا ولامولى لكم » ـ هذا لفظ البخارى ـ واذا كان مايحكى هو عقيدة أولئك المشركين فى أصنامهم فهل يستطيع أولئك الذين يسوون بين المسلمين الذين يحبون الأولياء ويتوددون اليهم ويترددون على الاماكن التى هم بها ـ وبين أولئك المشركين فى أن كلا عابد أوثانا أوثان المشركين الحجارة وأوثان المسلمين الأولياء والأنبياء ـ هل يستطيعون أن يأتونا بمؤمن واحد من جميع أنحاء الدنيا شرقاً وغرباً وشمالا وجنوبا ـ يعتقد فى الأولياء والأنبياء كما يعتقد أولئك المشركون فى أصنامهم ويعبد الأولياء والأنبياء كما كان أولئك المشركون يعبدون آلهتهم ـ ان طلوع السماء وتناولهم الشمس أقرب اليهم من أن يأتوا بذلك المؤمن الواحد ـ واذن لامناص لنا من أن نواجههم « ولامؤاخذة » بأنهم يرمون المؤمنين بما لاوجود له الا فى اذهانهم وسيرون عاقبة هذا يوم لاينفع مال ولابنون الا من أتى الله بقلب سليم

« لوسمعوا لى »

ولوسمع لى هؤلاء الناس لقلت لهم أقلعوا عن هذه الظنون الكاذبة وتطهروا من تلك الخيالات الخاطئة وتورعوا عن أحكامكم التى تصدرونها على المؤمنين كل يوم بدون عقل ولا روية فانكم ترتبون على تلك الظنون

وهاتيك الأحكام آثارا هى منتهى البشاعة والفظاعة فان من يحكم بالشرك على واحد لايرى حرجا فى قتله واراقة دمه تقربا الى الله عزوجل ـ وهذا ما أنتم عليه ويراه العالم كله منكم فانكم مادخلتم جهة من الجهات الافتكتم فتك الجبابرة وبطشتم بطش من لايعرف الشفقة ولاالرحمة ومن رآكم وأنتم تذبحون عباد الله المؤمنين الموحدين جزم كل الجزم أنكم تتلذذون بقتلهم وترتاحون لابادتهم ويخيل له أنكم لوأمكنكم أن تطهروا المعمورة من آثار المؤمنين لفعلتم فرحين مسرورين لاترون أى بأس فى استحلال فروجهم وأموالهم ظانين أنكم بهذا كله تنتصرون للتوحيد على الوثنية والوثنيين ـ انى أنصحكم ثم أنصحكم ـ وليس على الاذلك ـ أن تثوبوا الى رشدكم وتفكروا فى عاقبة ماأنتم عليه وترجعوا الى ماقاله العلماء فى الحكم بالكفر فانكم تجدونهم شددوا فى ذلك كل التشديد حتى صرحوا أن العالم لايجوز له أن يقدم على الحكم بكفر مؤمن الا اذا سد فى وجهه كل باب يمكن أن يصل منه الى إيمانه أما لووجد بابا واحدا ذلك حاله فلا يجوز له أبداً أن يحكم عليه بالكفر مهما كثرت الأبواب القاضية بتكفيره ـ حملا لحال المؤمن على الصلاح وبعدا عن موبقة ان زلق فيها الحاكم هوى على أم رأسه هويا آخره شقاء عظيم ـ وهل رأيت بلاء يقع فيه الرجل المؤمن أعظم من أن يفتى بكفر مؤمن آخذا على عهدته أنه من أهل الخلود الأبدي فى النار غضب عليه ربه غضبا لايرضى عنه بعده أبدا

هـذا فى الآخرة وأحكام المرتد فى الدنيا تصورها فقط تدور له الرءوس وتتقطع الأكباد أسى وحسرة على من تجرى وتنفذ فيه تلك الأحكام ـ ان هذا شئ عظيم ثم عظيم اذا تعلق بمؤمن واحد فكيف اذا تعلق بمئات وآلاف ومئات الآلاف بل بالعالم الاسلامى كله فى أي جهة من جهات الدنيا ـ لهذا كله أقول لكم وأشدد فى القول ـ واجب عليكم وجوبا هو آكد الواجبات عليكم بعد الايمان أن لاتتعجلوا على المؤمنين فى أحكامكم وراجعوهم وانظروا هل عندهم من موجبات الشرك شئ ـ وموجبات الشرك معروفة ـ فان رأيتم تلك الموجبات فاحكموا ـ ولن تجدوا ذلك فى أجهل المؤمنين ـ وان لم تجدوا ـ وهذا هو الواقع ـ فأمسكوا ألسنتكم واغمدوا سيوفكم عن عباد الله تعالى ـ ولا تؤاخذونى اذا قلت لكم راجعوا موجبات الكفر فادرسوها درساً جيداً واعرفوها معرفة لاتقل عن معرفتكم للشمس وأنتم ترونها ليس دونها سحاب فانه ليس بلاء يصيب الانسان فى الدنيا والآخرة الا وأصله الجهل فاقتلوا الجهل قتلا فى هذا الباب حتى اذا ما أصدرتم حكمكم علي مؤمن بالكفر يكون حكماً صحيحاً ـ وتحسنون الاحسان كله لومحوتم من ألواح أذهانكم هذا الباب كله باب التكفير واراقة دماء المسلمين فانه أخطر شئ عليكم ـ ولو أنصفتم لغضبتم من أنفسكم فى هذا الباب فانكم لاتقفون فى تكفيركم عباد الله تعالى الى حد عامة الناس التى قد يصدقكم الجاهل سيئ الظن فى تكفيركم لهم

بل تتجاوزون ذلك الى الحكم على العلماء الأجلاء ورثة الأنبياء وقادة الأمة ومفزعها اذا دجت مشكلة فى أى درجة كانوا من العلم ولو كانوا شيوخ شيوخ الاسلام ـ وموضع العجب أن الحكم بالكفر ـ وقدره ماشرحنا ـ يصدره أجهل واحد منكم على أى واحد من غيركم لايتوقف فى حكمه مهما كانت درجته فى الجهل والانحطاط ودرجة غيره فى العلم والارتقاء ومتى أصدر حكمه هذا لاتترددون كلكم فى صدقه واصابته كبد الصواب ـ وأحب أن تقولوا لى اذا كنتم تحكمون على علماء الاسلام بالكفر ـ وهم المرجع عند الاختلاف ـ فما يفعل المسلمون معكم اذا اختلفتم معهم في شئ ـ هل يتحاكمون الى علمائهم أم يتحاكمون اليكم فان قلنا انهم يتحاكمون الى علمائهم تذكرنا أنهم عندكم كافرون ولايجوز أن ينتدب الكافر كفر اشراك لأن يكون حكماً فان الحكم فى أرقي درجة والكافر كفر اشراك فى أحط درجة ــ وان قلنا انهم يتحاكمون اليكم ـ ولا مسلم على وجه الأرض الا أنتم في نظركم ـ رأينا أن ذلك هو المتعين الذى لاترضون غيره ــ والنتيجة لهذا أنكم تكونون الخصم والحكم هذا تحديد موقفكم فاعرفوه ـ ويمكن للناظر هنا أن يظن أنكم انما أصدرتم حكمكم حتى بكفر العلماء لتتخلصوا منهم فانهم هم الحكم المرضى الحكومة عند الناس وهم الذين تسمع لهم الأمة ان حكموا لكم أوعليكم فاذا ما وفقتم لأن تفهموا الأمة أن هؤلاء العلماء الذين تجلونهم كل الاجلال وترجعون اليهم في كل أموركم كافرون

مشركون لايصح أن تسمع لهم كلمة ولا يؤمنوا على حكم فانكم بذلك تكونون نجحتم نجاحا ليس بعده من نجاح ولكنى أؤكد لكم أنكم لايمكنكم بحال أن تصلوا من الأمة الى ذلك الحال فأريحوا أنفسكم واسمعوا ماقدمت لكم من نصح

« هل تجوز زيارة القبور »

هذا عنوان يتبادر الى ذهن القارئ منه أن هناك أناسا يخالفون فى جواز زيارة القبور وأنا أقول له انى لذلك وضعته وأزيدك أن أولئك الناس الذين يخالفون فى جواز زيارة القبور يشددون فى تحريمها تشديداً عظيما ولذلك تراهم ينظرون الى من يجيز تلك الزيارة أو يفعلها ـ بعين الاحتقار والازدراء ويسمونه « قبوريا » ـ ولاتعجب اذا قلت لك انهم يمنعون الناس من زيارة القبور منعا قهرياً ويمدون أيديهم بالضرب المؤلم الى من لم يمتثل نهيهم ـ لا أقول ذلك نقلا عن غيرى حتى يجد الشك سبيلا الى نفسك فيما أنقله لك بل أنا الذى أنقله ونقلى عن حس فلا يخطر ببالك أى شك فيه ولعلك تجد واحدا غيرى واثنين وعشرة ومئات وآلافا يوافقوننى فى نقل ذلك اليك . وهذا جهل بالدين الى حد يجعل السامع به يعجب أن يكون فى الدنيا من المسلمين اليوم من يصل جهله بدينه الى هذا الحد الذي ذكره وكتابته فضيحة من أكبر الفضائح لمن ينسب اليه ـ وكيف لايكون فضيحة وهو جهل بمذاهب المسلمين كلها فهى تجيز تلك الزيارة وتشرح للزائر

آدابها وهو جهل كذلك بسنة رسول الله ﷺ فانه صلى الله عليه وسلم زار القبور بنفسه وعلم أصحابه كيف يزورون القبور وكان منهم ذلك فى حياته الدنيوية صلى الله عليه وسلم أما زيارته هو صلى الله عليه وسلم فيدل عليها مارواه مسلم عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم أخبرها «أن جبريل جاءه فقال له ان ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم» وأنه صلى الله عليه وسلم «جاء البقيع فقام وأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات» وأنها رضي الله عنها قالت له كيف أقول لهم فقال (قولى السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم للاحقون) ـ بل روي مسلم عن أمنا السيد عائشة رضى الله عنها أن زيارة البقيع كانت عادة للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا لفظها (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ماتوعدون غدا مؤجلون وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) ـ وأما زيارة المؤمنين للقبور فى عهده صلى الله عليه وسلم وتعليمه لهم كيف يزورون فاسمع شيأ مما يدل على ذلك. روى البخاري ومسلم حديث المرأة التى كانت تزور قبر صبي لها وتبكى فلم ينهها صلى الله عليه وسلم عن زيارتها وانما قال لها (اتق الله واصبرى) وقال لها (الصبر عند الصدمة الأولى) وروي مسلم

أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم الصحابة اذا خرجوا الى المقابر فكان قائلهم يقول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات وانا ان شاء الله بكم للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية) ـ نعم كان منهيا عن زيارة القبور فى صدر الاسلام والناس قريبو عهد بجاهلية ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم وبفعله أما فعله فقد سمعته واما قوله فهو (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها) رواه مسلم من حديث ورواه غيره ـ وأنا لا أدرى ماذا يحصل للناس من الضرر في زيارة القبور حتى يمنعها أولئك الناس ذلك المنع القاطع والذي أعلمه عن تلك الزيارة أنها الدواء الذي لا نظير له للقلوب التى قست ثم قست ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر بالآخرة فزوروها ولا تقولوا هجرا ـ رواه البيهقى ـ وقوله ﷺ ولا تقولوا هجرا نهى عن آفة من آفات زيارة القبور التى من أجلها لا تجوز الزيارة وهذه الآفة أكثر ماتكون من النساء فان الواحدة منهن اذا رأت قبر ابنها أو أبيها أو أخيها أو زوجها طيب المعاشرة هاجت عاطفتها ـ وعواطف النساء رقيقة ـ وحينئذ يكون منها من أنواع الجزع ماتهتز له السماوات ـ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن الله زوارات القبور) ـ رواه أحمد وابن ماجه والحاكم ـ ومن آفات زيارة القبور أن الناس يخرجون اليها في بعض الجهات بحالة تنافي الانسانية فيختلط الرجال بالنساء

فى الطرق وعلى المقابر اختلاطا لا يرضاه عقل ولا دين وعلى المقابر يأكلون ويشربون ويتبرزون وينامون ويفعلون ما يفعلون مما يستحى القلم عن تسطيره ـ فالزيارات التى هذا حالها لا تجوز لهذا العارض لا لأنها زيارات ـ وعلى مثل هذه الزيارات يحمل قوله صلى الله عليه وسلم (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من أن يجلس على قبر) رواه مسلم ـ وان لم نفهم هذا لزم أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما كانوا عاملين بمثل ذلك الحديث الناهي عن الجلوس على القبور وذلك أن سيدنا مالكا رضى الله عنه روى فى موطئه (أن سيدنا عليا رضى الله عنه وكرم وجهه كان يتوسد القبور ويضطجع عليها) ومعروف من هو سيدنا على علما ودينا وروي البخاري عن سيدنا خارجة بن زيد أنه قال (رأيتنى ونحن شبان في زمن عثمان رضى الله عنه وان أشد وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه) وقال عثمان بن حكيم (أخذ بيدى خارجة فأجلسنى على قبر وأخبرنى عن عمه يزيد بن ثابت أنه قال انما كره ذلك (الجلوس على القبر) لمن أحدث عليه وقال نافع(كان ابن عمر رضى الله عنه) يجلس على القبور ـ روى كل هذا البخاري ومنه يعلم القارئ أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفهمون أن النهى عن الجلوس على القبور كان مقيدا بجلوس خاص بل ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جلس بنفسه على القبور فقد روى سيدنا أنس رضى الله عنه أنه قال شهدنا

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله ﷺ جالس على القبر) الحديث وروي الطبراني فى الكبير والأوسط (جلوس رسول الله ﷺ على قبر سعد بن معاذ يوم دفن)ـو روي الطحاوى بسند صحيح عن سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال انما نهى النبى ﷺ عن الجلوس على القبور لحدث غائط أو بول وبعد فانا نقول لأولئك الذين يمنعون زيارة القبور نرجوكم أن تقرأوا هذا فقط لتروا بأنفسكم أنكم فى واد ودين الاسلام فى واد آخر ولعلكم اذا رأيتموه أقلعتم عما أنتم عليه ولانظن بكم الاذلك بعد أن تروا أن رسولنا امام الجميع صلى الله عليه وسلم زار القبور وكانت زيارتها عادته وزارها أصحابه فى حياته وهو بنفسه علمهم كيف يزورونها وتبعهم على ذلك كل هذه الأمة من عهدهم لليوم وهذه كتب العلماء حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية وغيرهم بها بيان تلك الزيارة وكذلك دواوين السنة النبوية مفعمة ببيان جوازها والندب اليها وكيف تكون ـومن رآي كل هذا ثم أنكره ولم يعجبه فلا حيلة لنا فيه وأمره الى ربه والله تعالى أعلم

« هل فى القبر عذاب ونعيم »

أنكر عذاب القبر ونعيمه أناس ينتسبون الى الاسلام وقد برهنوا بانكارهم هذا على جهل فاحش بدينهم فان الكتاب والسنة ناطقان بما يكون في القبر من نعيم وعذاب نطقا لايجرؤ على انكاره مسلم واليك البيان ـ قال

ربنا عزوجل فى كتابه(النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أفهمتنا هذه الآية أن فرعون وقومه يعرضون على النار غدواً وعشياً ـ وهذا العرض لايخلو اما أن يكون في الدنيا أو في القبر أوفي الآخرة أما في الدنيا فلم يكن ذلك قطعا وأما فى الآخرة فالآية تقول بصراحة تبين حالهم هناك « ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » اذن هذا العرض ليس في الآخرة واذاانتفى أن يكون في الدنيا والآخرة تعين أن يكون فى القبر ـ هذا دليل الكتاب على ما نقول ـ وأما السنة الصحيحة فورد منها شئ كثير يدل على ذلك المعنى فقد روى الشيخان البخاري ومسلم والنسائى (أن رسول الله ﷺ خرج بعدما غربت الشمس فسمع صوتا فقال يهود تعذب في قبرها) وروى النسائي ومسلم واللفظ له أنه ﷺ قال (لولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر) وروي الشيخان والترمذي والنسائي وأبو داود أنه ﷺ (مر على قبرين فقال انهما ليعذبان ومايعذبان فى كبير (أي فى نظر الناس) أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين فغرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا) وروى الترمذى عن هانئ مولى سيدنا عثمان رضى الله عنهما أن سيدنا عثمان رضى الله عنه كان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته قيل له أتذكر الجنة والنار ولا تبكي وتذكر القبر

فتبكى فقال انى سمعت رسول‌الله ﷺ يقول (القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه)قال وسمعته ﷺ يقول (ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه) قال‌هانئ وسمعته ينشد على قبر

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة   والا فانى لا اخالك ناجيا

وروي البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى أنه ﷺ قال (ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع خفق قرع نعالهم اذا انصرفوا عنه أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبدالله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا فى الجنة فيراهما جيعا وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدرى كنت أقول مايقول الناس فيه فيقال لادريت ولاتليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين) وهذا الحديث يثبت شيأ آخرغير مقصود الترجمةوهو سؤال‌القبر ــ وورد فى‌أحاديث أخرى السؤال عن ربناعزوجل ودينا زيادة عن السؤال عن نبينا وهذا السؤال هو فتنة القبر الذى فيه يقول الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى‌الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء) ـ وفى هذا القدر كفاية وفوق‌الكفاية للمسلم‌الذى يريدالوصول الى الحق من طريقه والله الموفق

« هل تجوز زيارة نبينا ﷺ »

لعل القارئ الكريم يفزع لرؤيته هذه الترجمة ويقول ماذا جرى حتى تفرد زيارته صلى الله عليه وسلم بترجمة خاصة وأنت فيما سبق برهنت بالأدلة القاطعة على أن زيارة أى منتقل من هذه الدار جائزة بل مندوب اليها ومرغب فيها ـ هل هناك قيد يخرجه ﷺ من ذلك الاطلاق ويجعل زيارته وحده غير مندوب اليها ولا مرغب فيها – فأقول لك رويداً ياأخى واعذرنى في افراد هذا البحث بترجمة خاصة فان أولئك الناس الذين عنهم حكينا فيما سبق منع زيارة القبور منعوا زيارته ﷺ واختصوها في المنع بتشديد شديد جداً جعلهم يستبيحون مقاتلة زائريه ﷺ وصنفوا في هذه المسألة بعينها مصنفات وأصدروا فتاوى تفهم أهل الاسلام أن شد الرحال الى زيارته ﷺ لايجوز أما لو شد المؤمن رحله الى زيارة مسجده صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه فذلك جائز ودليلهم الواحيد الذي عذبوه فى كل مصنفاتهم وفتاويهم قوله ﷺ (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصي) رواه الشيخان البخارى ومسلم وغيرهما ـ وانى أعجب ثم أعجب أن يفهم ذو عقل منع زيارته ﷺ من هذا الحديث مع فهم جواز شد الرحال الى المدينة المنورة بأنواره ﷺ لأجل الصلاة في مسجده ﷺ ـ وانما عجبت ثم عجبت من ذلك الفهم لأن المدينة المنورة بأنواره ﷺ

ما كان لها أى قيمة بين البلاد قبل هجرته ﷺ اليها ـ وهذا المسجد الكريم مسجده ﷺ لولا اضافته اليه عليه الصلاة والسلام لكان ككل المساجد لافضل له على أى مسجد من مساجد الدنيا ـ فالمسجد انما عظم هذه العظمة وصارت الصلاة فيه بألف صلاة فى سواه من المساجد لأنه المسجد الذى اختاره ﷺ وبناه والذي كان يشرفه بالصلاة فيه والذي كانت تهمى فيه الرحمات والبركات لحظوته بحلول شخصه الكريم فيه ﷺ ـ واذا كان الأمر هكذا فهل من المعقول أن يقال ان هذا لمسجد له بركات تعود على المسافر اليه فلهذا يجوز أن تشد الرحال اليه وأما الرسول ﷺ الذى ما عظم هذا المسجد الا بنسبته اليه فلا بركة فيه تعود الى زائريه واذن لايجوز أن تشد الرحال الى زيارته ـ ان هذا انما يقوله المجانين الذين لا يعون مايقولون أو يقوله عدو الاسلام ورسول الاسلام ـ وأما المؤمن الذى له حظ من العقل فلا يمكن أن يخطر بباله هذا المعنى السخيف ـ والحديث الذى يستند اليه أولئك الذين يريدون أن يحولوا بينه ﷺ وبين أمته ـ في ناحية وما يذهبون اليه في ناحية أخرى فانه يتكلم عن المساجد خاصة ـ يقول للناس أنتم عقلاء يجب أن تصان أعمالكم عن العبث الذى لافائدة فيه فأوصيكم أن لاتسافروا وتتحملوا متاعب السفر ومشاقه من أجل أن تصلوا بمسجد من مساجد الدنيا فاهمين أن له فضلا على غيره لاتفعلوا ذلك فانكم تتعبون فى سفركم بلا فائدة تعود عليكم لأن

المساجد كلها في مستوي واحد لافضل لبعضها على بعض ـ لكن لاتفهموا أن ذلك على عمومه بل في الدنيا مساجد ثلاثة لها ميزة على غيرها من المساجد المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى بالمدينة المنورة والمسجد الأقصى بالشام ـ هذه المساجد وحدها لو شددتم الرحال اليها لايضيع تعبكم بل يعود عليكم من الثواب بمضاعفة ثواب الصلاة فيها مايوازي تعبكم وزيادة ـ وانما امتازت هذه المساجد الثلاثة لأن المسجد الحرام أمر ببنائه فبناه سيدنا ابراهيم خليل الرحمن ﷺ وكان يساعده في بنائه سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام ثم هو بجوار بيت الله الحرام قبلة العالمين ـ فلذلك البناء وهذا الجوار العالى نال من الشرف ماجعل الصلاة فيه بمائة ألف صلاة في سواه من المساجد ـ وأما مسجده ﷺ فعظمته لما قدمنا ثم هو بجوار بيته ﷺ ولايشك مؤمن في أن بيته ﷺ مهما علا شرفه وعظم قدره لايصل أبداً الى شرف بيت رب العالمين ـ لهذا كانت الصلاة في مسجده ﷺ بألف صلاة فى سواه ليشير التفاوت فى عظم الثواب الى التفاوت في شرف الجوار ـ ولأن المسجد الأقصى بناه سيدنا يعقوب ﷺ بعد أن بنى المسجد الحرام جده سيدنا ابراهيم ﷺ بأربعين سنة كما جاء فى حديث وورد أن الذى ابتدأ بناءه سيدنا داود عليه الصلاة والسلام وأتمه سيدنا سليمان ﷺ وهو غير معقول بالنسبة للمسافة التي بينهما والحديث بها متفق عليه ويمكن أن يكون الذي كان منهما صلى الله

عليهما وسلم تجديداً ـ ثم كان هذا المسجد مصلى أنبياء بنى اسرائيل عليهم الصلاة والسلام وكان بجوار بيوتهم وبجوار روضاتهم التى هم بها بعد انتقالهم الى الرفيق الأعلى عليهم الصلاة والسلام ـ ولا يخفى أن جوار الأنبياء وان كان رفيع القدر عظيما ـ لا يصل الى درجة كرم جواره صلى الله عليه وسلم ـ لهذا كانت الصلاة فى المسجد الأقصي بخمسمائة صلاة فى سواه من المساجد كما ورد هذا التحديد في الكل بحديث رواه البيهقى فى شعب الايمان ـ هذا ما يستطيع الانسان أن يفهمه من السر فى التفاوت بين هذه المساجد الثلاثة و بين غيرها وفي تفاوت الثواب بينها هى ـ ولنعد الى الكلام مع المانعين زيارته صلى الله عليه وسلم فنقول ـ لو فهمنا أن النهى عن شد الرحال في الحديث المذكور عام فى كل سفر الا السفر الى هذه المساجد للزم أنه صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذي نطق بهذا الحديث وعليه أنزل ـ ما كان فاهما له أو كان يفهمه ولكنه ما عمل بمقتضاه و بقى غير معمول به أو غير مفهوم حتى جاء هؤلاء وفهموه وعملوا به ـ ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يسافر للجهاد ويأمر بالسفر له وبالسفر لتعليم العلم وتبليغ الشريعة وبالسفر للقضاء بين الناس واقامة العدل بينهم وهى أسفار لم تكن الى هذه المساجد بل الى غيرها ـ وكان أصحابه رضى الله عنهم يسافرون للتجارة والى مايهمهم من شئون الدنيا فى أى ناحية من نواحي الأرض ـ وهو صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك ويقره ولا ينكر عليه ـ بل شد الرحال اليه

صلى الله عليه وسلم الذى هو موضوع النزاع كان في حياته صلى الله عليه وسلم فان الوفود كانت تفد اليه صلى الله عليه وسلم من أنحاء الأرض مسافرين لم يبعثهم على ذلك الاحب لقائه صلى الله عليه وسلم وزيارته والتبرك بالوجود في حضرته الشريفة وكان صلى الله عليه وسلم يرى هذا ويقره بل ويحرض عليه بما كان يثيب به تلك الوفود من الجوائز التى كان يمنحهم بها — وهو الآن فى روضته الشريفة مثله وهو حي تماما كما برهنا على ذلك سابقا فزيارته الآن لاتختلف أبدا عن زيارته قبل أن ينتقل الى الرفيق الأعلى ونبه هو صلى الله عليه وسلم على ذلك في قوله (من حج فزار قبرى بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتى) — رواه الدارقطنى في سننه والبيهقى وابن عساكر والطبرانى في معجميه الكبير والأوسط — وليس ماتقدم هو الذي يلزم على فهمنا ذلك الحديث كما يفهمه أولئك الناس بل يلزم كذلك أن نحبس أنفسنا في الدوائر التى نحن مقيمون بها حبسا لامخرج منه أبدا لأنا ان خرجنا منها فقد سافرنا الى غير المساجد الثلاثة — ويلزم كذلك أن لايجوز لنا السير فى الأرض للاعتبار والعظة وقد أمرنا ربنا عز وجل بهذا السير فى كتابه وحرضنا عليه في غير آية من كتابه — فهل يتناقض ربنا العليم الخبير فيأمر بالسير فى الأرض بكتابه وينهانا عنه في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم — ويلزم أيضاً أن لانسافر لصلة أرحامنا اذا كانوا بجهات بعيدة وقد أمرنا ربنا بهذه الصلة وشدد علينا فيها ووعد من يقوم بها أن

يصله وتوعد من أخل بها أن يقطعه - ويلزم كذلك أن يكون علماء الاسلام من أول هذه الامة لليوم - فى خطأ عظيم حيث انهم يعقدون فى كتبهم الدينية الأبواب والفصول يذكرون فيها زيارته صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بها من ترغيب فيها ومن آداب ينبغى أن تراعى في القيام بها - وهل يسمح عاقل أن يلتزم كل تلك اللوازم الشنيعة من أجل كلمة فلتت من رجل عاش فى سخط الأمة ومات فى سخطها مبعدا بالسجن عن الناس لئلا يطير شرره عليهم ووصل سخط علماء عصره عليه الى درجة أن ضللوه وفسقوه وبدعوه وحكم عليه بعضهم بالكفر والخروج من الملة الاسلامية بل كفر بعضهم من يطلق عليه لقب شيخ الاسلام وألف هذا فى ذلك ما أبان به وجهة نظره - فهل رجل ذلك حاله يصح أن يلتفت اليه فضلا عن أن يحترم الى درجة أن يقلد فيما يذهب اليه - ولو رأى القارئ ما أثبته عليه علماء عصره من الكذب والتدليس فى النقول حتى الأحاديث ليؤيد مايريد أن يذهب اليه - ولو رأي أن بعضهم أثبت عليه عقائد تتعلق بخالق السماوات والأرض فى غاية الشناعة - لفرهاربا واضعا يده على رأسه مستعيذا بالله تعالى من غضبه وانتقامه - هذا هو الرجل الذى افتتن به الناس اليوم لحد أنهم عادوا أهل الاسلام من أجله ونبذوا مذاهب أئمة الاسلام وهداة الخلق لمذهبه - واني بما أجل من لقب عالم اسلامى آمر وأشدد فى الأمر - كل مؤمن أن يشد رحله الى

زيارته صلى الله عليه وسلم وله على ذلك ما قاله هو عليه الصلاة والسلام فقد قال صلى الله عليه وسلم ـ من زار قبري وجبت له شفاعتي ـ رواه الدارقطني والبيهقي وغيرهما ـ وقال ـ من جاءني زائرا لا يعمله حاجة الا زيارتي كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة ـ رواه الطبراني في معجمه الكبير والدارقطني في أماليه وابن المقري في معجمه وغيرهم ـ وقال ـ من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة رواه العقيلي وغيره ـ وهو شيء لا يسمعه مؤمن ويهدأ له بال حتى يتشرف بالمثول بين يديه صلى الله عليه وسلم ـ وهل بي جنون حتى أصدر أمري للمؤمنين أن لا يزوروا رسولهم وولي نعمتهم الذي له في عنق كل مؤمن منة محال أن يقوم بشكرها ـ ومن يستطيع أن يكافئ من أخرجه من نار أبدية الى نعيم أبدي ـ ان من يأمر الناس أن لا يزوروا سيد الوجود وصفوة الخلق لا يدري ماذا يفعل انه يحول بين عباد الله وبين رحمة الله فانه صلى الله عليه وسلم رحمة الله للعالمين ـ فليعرف ذلك أولئك المانعون ليعلموا في أي موقف هم ـ واني أحب أن يعلم القارئ المؤمن أن الاجماع على طلب زيارته صلى الله عليه وسلم طلبا أكيدا لم يخالف في ذلك لا عالم ولا جاهل ولا أسود ولا أبيض ولا رجل ولا امرأة بل صرح بعض هداة الأمة أن هذه الزيارة واجبة فراراً من الجفاء الذي رمى به صلى الله عليه وسلم من لم يزره فانه قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن النجار (من لم يزرني فقد جفاني) وقال (ما من

أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر) وهذا شيء يخيف أهل الايمان ـ نعم لم ير الناس ولم يسمعوا من عهده صلى الله عليه وسلم لهذا العهد الذي نحن فيه الآن ـ أحدا يخالف في طلب هذه الزيارة الكريمة ـ الا هذا الرجل الذي نشير اليه ومن اغتر به من عصره لليوم وهم أفراد يعدون على الأصابع بين أمة بأسرها تعد بمئات الملايين عندهم هذه الزيارة بعد الحج الذي هو أحد أركان الاسلام وليفهم القارئ معنى هذا اللفظ الضخم (بعد الحج) ولو كان لهؤلاء المانعين عقل وروية لسكتوا عن الجهر بهذه الشنيعة وهم يرون عباد الله تعالى بالآلاف والملايين تبعثهم الأشواق المقلقة اليه صلى الله عليه وسلم فيتركون أوطانهم وأحبابهم وأموالهم يتابعون المسير ليلا ونهارا يبتهلون الى ربهم أن يطيل آجالهم حتى يصلوا اليه صلى الله عليه وسلم فاذا وصلوا فلا تسأل عن مبلغ ما يقوم بهم من مسرات ثم مسرات فان ذلك شيء انما يعلمه العليم الخبير . ومن قرأ عبارات العشاق لذلك المقام الكريم عرف أن المؤمنين في عالم وهؤلاء المانعين في عالم آخر ـ ولودنا القارئ ممن تشرف بذلك المقام ـ في طريق إيابه الى بلاده حيث يلقى الأحباب والأبناء والأوطان والاموال ـ لسمع أنات تتلوها أنات وزفرات تتصاعد اثر زفرات حنينا الى الرجوع ثم الرجوع الى ذلك المقام الرفيع مقام أجل عبد رآه هذا الوجود مقام

الشفيع المشفع أحب خلق الله الى الله وأوجه أهل الوجاهة عنده تعالى ـ صلى الله عليه وسلم ورزقنا زيارته مرات ثم مرات في عفو وعافية اللهم آمين

﴿ تعالى ربنا أن يكون جسما ﴾

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (ليس كمثله شيء) ذلك قوله تعالى عن نفسه فى كتابه الكريم ـ وهو نفى عام ينطق فى صراحة ليس بعدها صراحة أنه تعالى لايشبهه شيء ولايشبه هو تعالى شيأ من هذا العالم علويه وسفليه ـ هكذا وصف ربنا نفسه وهو وحده الذى يعلم حقيقة نفسه فهو وحده الذى يعلم كيف يصفها ـ وليس لأحد كائنا من كان ـ أن يستقل بوصفه ـ علت كلمته ـ ولو كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا فان بيننا ـ معشر الخلق ـ و بينه عزوجل التباين التام هوقديم ونحن حادثون وهو خالق ونحن مخلوقون فلوكان مثلنا لكان مخلوقا مثلنا أوكنا خالقين مثله وهذا باطل ـ اذن لاصلة بيننا وبينه تعالى يمكن معها لأي مخلوق أن يحيط علما به عزوجل حتى يصفه بأي وصف ـ اذن هو عزوجل منزه عن المادة وكل خصائص المادة ومن هنا أخذ القول المعروف (كل ماخطر ببالك فالله بخلاف ذلك) اذن العقول معقولة عقلا تاما عن أن تحوم حول هذا الحمى المقدس بأكثر مما وصف تعالى به نفسه الذى منه قوله تعالى (ليس كمثله شيء) هذا أصل قاطع لانزاع فيه يرجع اليه كل نص جاء في

شريعتنا يوهم ظاهره خلاف ذلك ـ اذن للاستواء فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) معنى يناسب ربنا عزوجل خلاف مايوهمه ظاهر اللفظ وهو ما لاخلاف فيه بين أئمة الهدي من أول هذه الأمة لليوم، وهاك أمثلة تفهم منها كيف يقول في هذا أولئك الهداة رضى الله عنهم ـ عن أمنا الجليلة السيدة أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت فى هـذا الاستواء (الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والاقرار به إيمان والجحود به كفر. رواه ابن مردويه واللالكائى ـ وقال فيه سيدنا ربيعة بن عبد الرحمن رضي الله عنه (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق) رواه اللالكائى ـ وقال فيه تلميذه الامام مالك بن أنس رضى الله عنه (استوي كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع) وقال للسائل عن ذلك ,(وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه فأخرج الرجل) . رواه البيهقى ـ واذا كان سيدنا مالك رضى الله عنه يرى السائل عن هذا مبتدعا ولايتردد فى الحكم على مجرد سؤاله هذا بأنه بدعة من أجلها يهان الرجل ويطرد من مجلس العلم الذى لايطرد منه مسترشد ـ فماذا يظن القارئ به رضى الله عنه اذا رأى قوما لايسألون فقط عن كيفية هذا الاستواء بل يتهجمون بكل جرأة على شرحها وبيان معناها ـ ليس ذلك لأنفسهم خاصة فكان يهون الامر بل يتجاوزونها الى غيرهم ولا يقتصرون فى بيان ذلك الكيف على ألسنتهم

تشرح ذلك لكل من يظفرون به من الأمة بل تعدوا ذلك الى بيانه بأقلامهم ليبق بعدهم مابقيت الدنيا فكتبوا كتبا ملأوا الأرض بها كلاما وعينوا فيها هذا الكيف كل التعيين — فقالوا ان ربنا عزوجل له العلو من جميع الوجوه فعينوا له تعالى جهة والذى له جهة له مكان قطعا وعينوا هذه الجهة وذلك المكان فقالوا انه على العرش بذاته ـ ولئلا يخطر على البال معنى يؤول هذا تأويلا يليق به عزوجل ـ قالوا ان العرش يئط ويصوت حقيقة به تعالى كأيئط ويصوت الرحل تحت الراكب المستعجل ـ ولم يكفهم كل هذا فى بيان غرضهم بل جنوا وقالوا ان ربنا تعالى يدنى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ويقعده بجانبه على العرش ـ الى هذا الحد وصل هؤلاء الناس فى شرح كيفية هذا الاستواء الذى اتفق أئمة الهدى أنه غير معقول وكيف يعقل هذا الاستواء مع قوله تعالى (ليس كمثله شئ) ـ ولو أنا نزلنا أنفسنا من هؤلاء الناس منزلة سيدنا مالك من سائله ما وجدنا كلمة تؤدى مافى نفوسنا من ناحيتهم ـ ولولا أنا بصدد رد مقالتهم هذه مااستجزنا لأنفسنا أن نحكيها وصفا لربنا وولى نعمتنا فى الدنيا والآخرة ولكنه مقام البيان يحرج الى مثل هذه المضايق ـ ولقد ألف أحد أئمة هؤلاء الناس قصيدة طويلة عريضة تعد بالآلاف أحد

عناوينها . (فصل فى الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش اله يعبد ولا فوق السماوات اله يركع له ويسجد) هذا العنوان فقط من التفت اليه فهم منه أن الرجل فى غضب شديد على معتقدي تنزيه الله تعالى عن حلوله على العرش بذاته ولا يري ازاء هذا الا أن يرد عليهم ويفهمهم أن الخالق المعبود فوق العرش بذاته و يأبى أن يذكرهم الا بوصفين وصف الجهمية ووصف المعطلة ـ أما الجهمية فنسبة الى جهم بن صفوان الذى قال عنه هذا الرجل فى نونيته هذه مالايقال ولا يعاد وهو تلميذ الجعد بن درهم الذي ضحى به أحد الولاة في آخر دولة بنى أمية ـ خطب هذا الوالى يوم عيد أكبر و بعد أن انتهى من خطبته قال (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم وانى مضح بالجعد بن درهم) ثم نزل فذبحه متقربا الى الله تعالى بتطهير الأرض منه ـ وأما المعطلة فيعنى أنهم لايوافقونه فى عقيدة أن ربنا جسم قاعد على العرش بذاته فعطلوه باعتقادهم هذا من هذا الوصف مع أنه موصوف به كما يزعمون ـ هذا حكم هذا الرجل على مخالفيه فى طالمة عنوان واحد من عناوينه الكثيرة ـ ومعنى هذا أن الأمة بأسرها جهمية ومعطلة فى هذه العقيدة فانها عقيدة المسلمين فى كل عصر ـ بل غلا هؤلاء الناس ثم غلوا في حكمهم على من خالفهم حتى حكموا عليهم بالشرك بل جعلوهم شرا من المشركين ـ ولسنا نقول هذا دعاوي مجردة بل نقولها معها أدلتها التى لاتقبل طعنا

وكلها من نونية هذا الرجل واسمع مايقول

والفوق وصف ثابت بالذات من كل الوجوه لفاطر الأكوان
لكن نفاة الفوق ما وافوا به جحدوا كمال الفوق للديان
بل فسروه بأن قدر الله أعلى لابفوق الذات للرحمن

واسمع

ان العلو له بمطلقه على التعميم والاطلاق بالبرهان
وله العلو من الوجوه جميعها ذاتا وقهرا مع علوا الشان

واسمع

الله فوق العرش فوق سمائه سبحان ذي الملكوت والسلطان
ولعرشه منه أطيط مثل ما قد أط رحل الرا كب العجلان

واسمع

بل عطلوا منه السماوات العلى والعرش أخلوه من الرحمن

واسمع ما يقوله على لسان المنزه يلوم المجسم على اعتقاده ذلك

وزعمت أن محمدا يوم اللقا يدنيه رب العرش بالرضوان
حتى يري المختار حقا قاعدا معهعلي العرش الرفيع الشان
وزعمت أن لعرشه أطا به كالرحل أط براكب عجلان

واسمع ما استحسنه في كتاب له آخر وأنشده وهو

فلا تنكروا أنه قاعد ولاتنكروا أنه يقعده

أى اعترفوا أيها الناس واعتقدوا اعتقادا **لا** يشوبه انكار أن ربنا قاعد على العرش وأنه يقعد نبيه صلى الله عليه وسلم بجانبه يوم القيامة واسمع

واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ　　كانا هما لاشك مصطحبان

أبدا فكل معطل هو مشرك　　حتما وهذا واضح التبيان

واسمع ماهو أشد

لكن أخو التعطيل شر من أخى الـ　　إشراك بالمعقول والبرهان

واسمع مايتضمن أن أبا حنيفة رضى الله عنه يوافقه على الحكم بالكفر علي كل من ينزه ربه عن أن يكون جسما قاعدا على العرش قال

وكذلك النعمان قال وبعده　　يعقوب والالفاظ للنعمان

من لم يقر بعرشه سبحانه　　فوق السماء وفوق كل مكان

ويقر أن الله فوق العرش لا　　يخفى عليه هواجس الأذهان

فهو الذى لاشك في تكفيره　　لله درك من امام زمان

هذا الذي فى الفقه الاكبر عندهم　　وله شروح عدة لبيان

ولقد عجبت وطال عجبي لما رأيت هذا مسندا الى هذا الامام الأعظم فى كتابه الفقه الأكبر وراجعت هذا الكتاب من أوله الى آخره فلم أرفيه اشارة الى هذا القول والذى وجدته فيه يناقض هذا النقل كل المناقضة وهذا مايقوله رضى الله عنه فى ذلك الكتاب عن ربنا عزوجل (لاحد له ولاضد له ولاند له ولامثل له له يد ووجه ونفس فما ذكر

فى القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال
ان يده قدرته أو نعمته لأن فيه ابطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال
ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف) —
هذا كلام الامام فى هذا المقام وهو ناطق بأنه رضي الله عنه كبقية السلف
فى الايمان بالمتشابه دون تعيين كيف بل أول كلمة من هذا الكلام ترد
على هذا الرجل أكبر رد فانه رضى الله عنه يقول (لا حد له) وهذا الرجل
يحدده تعالى ثم يحدده — وأين هذا من هذا — فهذا الرجل رغم دعواه
الامامة والاجتهاد المطلق — يروج بدعته هذه بالكذب على الامام أبي
حنيفة رضى الله عنه — وهذا الفقه الأكبر بين أيدينا فليراجعه من شاء —
وغير غريب أن يكذب هذا الرجل فانه مبتدع داعية الى بدعته غال
فيها كل الغلو وكل مبتدع هذا شأنه لا يتوقي الكذب لينصر بدعته كما قرره
العلماء رضى الله عنهم — تركت متن الفقه الأكبر الذي أحالنا عليه
وأخذت أقلب فى صحائف شرحه للعلامة ملا على قارى رحمه الله لعلى
أعثر على هذه المقالة وبعد تعب كثير عثرت عليها ومعها الحكم عليها
بالكذب — ولم أعثر عليها الا بعد أن انتهى المتن وما يتعلق به وجدتها
فى أوائل المسائل التى ألحقها الشارح بشرح الكتاب وهذا ما عثرت عليه
قال رحمه الله (وما روى عن أبي مطيع البلخى رحمه الله أنه سأل أبا
حنيفة رحمه الله عمن قال لا أعرف ربى في السماء هو أم فى الأرض فقال قد

كفر لأن الله تعالى يقول (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سبع سماواته قلت فان قال انه على العرش ولا أدرى العرش في السماء أم فى الأرض قال هو كافر لأنه أنكر كونه فى السماء فمن أنكر كونه فى السماء فقد كفر لأن الله تعالى فى أعلى عليين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل انتهى والجواب أنه ذكر الشيخ الامام ابن عبدالسلام فى كتابه حل الرموز أنه قال الامام أبوحنيفة من قال لاأعرف الله تعالى فى السماء هوأم فى الأرض كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه انتهى ولا شك أن ابن عبدالسلام من أجل العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد على نقله لا على ما نقله الشارح (شارح عقيدة الطحاوى) مع أن أبا مطيع رجل وضاع عند أهل الحديث كما صرح به غير واحد) هذا كلام العلامة ملاعلى قارى ومنه يعلم أمور (الأمر الأول) أن تلك المقالة ليست فى الفقه الاكبر وانما نقلها عن أبى حنيفة ناقل فيكون اسنادها الى الفقه الأكبر كذبا يراد به ترويج البدعة (الأمر الثانى) أن هذا الناقل مطعون فيه بأنه وضاع كذاب لايحل الاعتماد عليه فى نقل يبنى عليه حكم فرعى فضلا عن أصلى فالاعتماد عليه وحاله ماذكر خيانة يريد الرجل بها أن يروج بدعته (الأمر الثالث) أن هذا النقل صرح امام ثقة هو ابن عبد السلام بما يكذبه عن أبى حنيفة بالنقل الذى نقله عن هذا الامام الأعظم رضى الله عنه فاعتماد الكذاب واغفال الثقة

خيانة يراد بها تأييد بدعته - وهي جرائم تكفي واحـدة منها فقط لأن تسقط الرجـل من عداد العدول العاديين لا أقول من عداد العلماء أو أكابر العلماء أو الأئمـة المجتهدين - و يعظم الأمر اذا علمنا أن الخيانات الثلاثة فى نقل واحد وهو مما يرغم الناظر فى كلام هذا الرجل على أن لا يثق بنقل واحد ينقله فانه لا فرق بين نقل و نقل فاذا ثبتت خيانته فى هذا جاز أن تثبت فى غيره وغيره - أما الامام يعقوب الذى هو أبو يوسف رضي الله عنه صاحب الامام الأعظم رضى الله عنهـما - فلم أعثر له على كلام كهذا بعد البحث الطويل فلعله كذب آخر غير ماتقدم بل لا أشك فى أنه كذب يروج به هذا الرجـل بدعته و يجعل أبا يوسف كالامام من أسلافه فى اعتقاد هذا البلاء العظيم - قد يقول قائل لعل الرجل لا يعلم حال أبى مطيع ولا يكون اطلع على التكذيب فأقول - أمجتهد مطلق دونه كل مجتهد كما يدعى هو وشيخه وكل مفتتن بهـما - ولا يعرف الكذابين الوضاعين ان ذلك ليس بمعقول كما أنه ليس من المعقول أن يطالع الرجل شروح الفقه الأكبر دون أن يعرف مذهب الامام فى المتشابه وذلك في فاتحة الكتاب فاذا لم يكن رأى تكذيبا لهذا النقل الا ذلك لكفى - زد على ذلك أن العز ابن عبدالسلام قبل هذا الرجـل بزمن وكتبه يتهافت عليها الصغير والكبير لعلمه وفضله فعدم اطلاع هذا الرجل على كلام العز لا يرضاه هو لنفسه ولا يرضاه له محبوه لأنه يكون غفلة عما بين اليدين -

وهل يرضى لنفسه ذلك امام دونه كل امام في نظر نفسه ونظر المغرورين به —
وانا نناقش هؤلاء المساكين مناقشة هادئة ننظر هل يرضى العقل بهذه
العقيدة عقيدة أن ربنا عزوجل جالس على العرش بذاته أم لا يرضي فنقول
لهم — ربنا الذي تقولون انه فوق العرش بذاته — قديم عندكم أم حادث —
فان قلتم حادث انقطع الكلام بيننا وبينكم من أول خطوة فان الذي يعتقد
حدوث الخالق لا يخاطب والكلام معه ضائع — وان قلتم انه قديم كما هو
اعتقاد المسلمين وعليه الشرائع الالهية والعقلاء من أول الدنيا — انتقلنا الى
سؤال آخر وهو — أقديم هذا العرش الذى فوقه ربنا القديم أم حادث —
فان قلتم انه قديم انتهى الكلام بيننا فى هذه الخطوة الثانية فانه لاخلاف
بين الأديان كلها فى أن كل ماعدا ربنا حادث بما فى ذلك العرش — وان
قلتم انه حادث — قلنا لكم — أكان ربنا القديم على هذا العرش الحادث
قبل أن يوجد أم لا — فان قلتم كان — انتهى الكلام معكم في هذه الخطوة
الثالثة فان الذي لم يوجد محال أن يتصور العقل أن يكون محل كون وقرار
عليه فان ذلك يقتضى أنه موجود والفرض أنه معدوم — وان قلتم لا —
انتقلنا الى سؤال آخر وهو — كيف استوى ربنا بذاته على العرش بعد أن
وجد هذا العرش — هل تغير ربنا عما كان عليه قبل وجود العرش وبهذا
التغير صار على العرش — أم لم يتغير ومع ذلك صار على العرش — فان قلتم
تغير حتى صار على العرش — قلنا لكم معنى هذا أنه تحرك وانتقل عما

كان عليه حتى صار علي العرش ومعروف أن الحركات والسكنات من أخص خواص الأجسام فعلى هذا يكون ربنا جسما واذن يكون حادثا فان كل جسم حادث بلا نزاع واذن يكون ليس بالله والمتفق عليه أنه اله ـ وان قلتم لم يتغير ومع ذلك صار على العرش ـ قلنا هذا ليس بمعقول فانه قبل أن يخلق العرش ما كان على العرش قطعا فاذا كان علي ما كان عليه بعد وجود العرش ولم يتغير ـ كان معنى هذا أنه ليس على العرش قطعا كما كان قبل وجود العرش وتناقض أن تقولوا انه على ما كان عليه ومع ذلك صار على العرش ـ والى هنا سدت جميع المنافذ فى وجوهكم وظهر لكم أنكم تقولون فى ربنا مالا يقبله نقل ولا عقل فان التزمتم ذلك وتماديتم على مقالتكم هذه بالغنا فى بيان فساد ماأنتم عليه وقلنا لكم ـ اذا كان ربنا فوق العرش بذاته كما تزعمون ـ فقولوا لنا ـ أبينهما اتصال وتماس كما يتماس الجالس منا بمجلسه أم لا ـ فان قلتم لا ـ كان عجيبا فان عبارتكم صريحة فى الاتصال والتمكن والماسة فانكم تقولون فوقه بذاته وتقولون قاعد وجالس ويجلس بجانبه غيره فاذا لم يكن مع هذا تماس ولا اتصال ولا تمكن فلافوقية حينئذ ولاذات ولاقعود ولاجلوس ولا إجلاس وبهذا تسجلون على أنفسكم أنكم تقولون مالا تعقلون ـ وان قلتم نعم ـ أثبتم على أنفسكم اثباتا قاطعا أنكم تقولون انه تعالى جسم فانه لايتصل بالمكان ويتمكن من الجلوس عليه الا الأجسام ـ ومن يقول ان

ربنا جسم تقول له ولا نكني - أنت تؤمن برب غير رب العالمين فان رب العالمين يصف نفسه بقوله فى كتابه (ليس كمثله شئ) واذا كان لا مثل له كان غير جسم قطعا - والذى يؤمن برب جسم يقول ان ربه الذى يؤمن به مثل جميع الأجسام العلوية والسفلية وأين هذا ممن ليس كمثله شئ - علم هذا الفريق علما ليس بالظن أن الهه جسم كالأجسام فالتزم أن يثبت له مكانا يحل فيه كسائر الأجسام فان محالا أن يكون جسم فى غير محل يحل فيه - وأما نحن فننزه ربنا عن كل هذا ولا نتردد فى الحكم بأن من يؤمن به يؤمن بغير رب العالمين - والذى نقوله ان ربنا كان قبل المكان عرش وغيره وخلق العرش وغيره من هذا العالم وهو بعد هذا الخلق على ما كان عليه منزها عن الجسمية وعن لوازم الجسمية فلا مكان له لأنه كان قبل المكان ولا يحتاج الى المكان والا فكيف كان مستغنيا عنه قبل خلقه - يا ربنا لك الحمد على حلمك هذا الذي لا يتناهى على عبيدك الذين يقولون فيك ما لا يناسب قدرك - نعم لا أحد أصبر منك يا مولاى على أذي تسمعه كما يصفك رسولك صلى الله عليه وسلم - فان بعض عبيدك يقول انك لست بموجود وأنت الذي لولاك ما كان موجود فانه ليس بمعقول أن توجد الأشياء أنفسها أو توجد هى وحدها بلا موجد فان إيجادها أنفسها يقتضى أنها موجودة معدومة متقدمة متأخرة فاعلة منفعلة في آن واحد وهو محال - ووجودها وحدها بلا موجد فيه حدوث بلا

محدث وفعل بلا فاعل وهو محال كذلك — ويقول بعض عبيدك ان لك شركاء لايحصرون كلهم يستحقون العبادة معك ولو كان الأمر كما يقولون لأمكن أن يختلفوا فلا يكون من هذا الوجود شئ وهو مشاهدالوجود — ويقول بعض عبيدك ان لك أولادا وبديع السماوات والأرض الذي بهذه القدرة الباهرة أى حاجةله بالولد الذى انما يقصد ليكون قوة وعونا للوالد — ويقول بعض عبيدك ان لك زوجة والزوجة تتخذ للولد وقد علم غناك عنه فمحال أن تكون لك زوجة — ثم الزوجة تكون من وادى زوجها فلوكانت لكانت الها آخر فيمكن الاختلاف فيلزم المحال — وكذلك يقال في الولد — ويقول بعض عبيدك الذين نتكلم معهم الآن انك جسم جالس على العرش كجلوس أحدنا في مكانه وقد تبين فساده بما سبق — كل هذا وما ماثله مما لايليق بجلالك وعظمتك يامولاى يقوله من يقوله وأنت تسمعه وتحلم على من يقوله بل وترزقه وتغدق عليه ما تغدق من النعم التى لاتحصي واذا تنبه لخطئه يوما وأناب اليك ونزهك عما يقول واعتقد فيك ما أنت أهله بدلت سيآته حسنات وعفوت عنه وغفرت له وجعلته من أحبابك الذين أعددت لهم دار كرامتك الأبدية لهم فيها ما اشتهت أنفسهم انك يامولاي غفور رحيم عفو كريم فلك الحمد حمدا يوافى نعمك ويكافئ مزيدك — ولنعد الى ما كنا فيه فنقول — ان هؤلاء الناس الذين يقولون ان ربنا على العرش بذاته — على بدعة من أشنع البدع

وأقبحها وأجرئها على الله عزوجل وأبعدها عن الحق ـ كما أنها برهان من أوضح البراهين على سخافة العقل الذى يقبلها ويصدق أن ربنا كما تقتضى ـ وكل الذي تمسك به هؤلاء الناس يؤيدون بهذه البدعة ظواهر آيات وأحاديث يجب أن تفهم على غير هذا الظاهر فراراً من المحال الذى يترتب عليه ــ ونحن نعلم وكل مسلم يعلم أن العقل أصل الشرع وأساسه وعليه بنى فلا يمكن بحال من الأحوال أن يكون في هذا الشرع ما يقف العقل في وجهه و يعانده و ينابذه والذى اتفقت عليه الأئمة أنا اذا رأينا فى الكتاب أوفى السنة ماظاهره يصطدم مع العقل وجب صرفه عن هذا الظاهر ليتلاءم ويتفق مع العقل وفى الكتاب والسنة كثير من هذا صرف عن ظاهره دون أي توقف فى صرفه ذلك ـ ولوأنا أخذنا بكل ظاهر من ظواهر الكتاب والسنة دون أن نعمل عقولنا فيه لانتقلنا فى عشية أوضحاها من صفوف المسلمين الخلص الى الكافرين الذين لاريب فى كفرهم ـ وبعد فكل الآيات والأحاديث التى جاءت تدل على أن ربنا ستوى علي العرش لم تقل آية منها ولاحديث ان ربنا استوي على العرش بذاته وهذا القيد (بذاته) من اختلاقات هؤلاء الناس وأكاذيبهم على الله ورسوله ــ ونحن نقول فى هذا كما يقول سلفنا الصالح رضى الله عنهم فى المتشابهات كلها ـ ان له معنى لائقا بربنا هو يعلمه ونحن لانعلمه وننزه ربنا عن ظاهره هذا ولانعتقده فيه أبدا وبهذا نبرأ من التشبيه والتعطيل ـ

واذا أبي هؤلاء الناس الا ألاأخذ بما يقتضيه هذا الظاهر ـ قلنا اذن صار الأخذ بظواهر الشريعة قاعدة لكم في مثل هذا مما جاء يثبت ظاهره لربنا صفات تشبهه بخلقه ـ فأنتم اذن تقولون ان ربنا تعالى في السماء أخذا بظاهر قوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) فان من يفهم هذا النص على ظاهره يقطع بأنه تعالى مظروف في السماء والسماء ظرف له هو داخلها مع الملائكة ـ وهذا غير كونه تعالى على العرش قطعا ـ فهل نأخذ بالنصين معا فنقول انه تعالى على العرش وفي السماوات في آن واحد أم كيف الحال ـ وتقولون انه تعالى في الأرض كما أنه في السماء كما يقول عز وجل (وهو الذى في السماء إله وفي الأرض إله) وكما يقول تعالى (وهو الله في السموات وفي الأرض) فهاتان الآيتان تقولان بحسب ظاهرهما ـ ان ربنا ـ تعالى وتقدس ـ في الأرض كما أنه في السماء ـ فكيف يكون ربنا على العرش وفي السماء وفي الأرض في وقت واحد ـ واذا لاحظنا مذهبكم الذي يقول بذاته قلنا انكم تقولون انه تعالى بذاته في كل من السماوات والأرض والعرش فيكون ربنا على مذهبكم ذوات ثلاثة ـ ولعلكم تقولون انه في كل بذاته وهو واحد واذا قلتموها وجدتم لكم نظيرا يقول ان الثلاثة واحد ـ بل وتقولون انه تعالى مع كل انسان كما يقول عز وجل « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » — واذا

أضفنا الى ذلك أنه مع كل انسان بذاته ـ لزم أنه تعالى ذوات تعد بالملايين وبملايين الملايين ـ وكذلك تقولون انه تعالى فوق صراط مستقيم بذاته كما يقول سبحانه « ان ربي على صراط مستقيم » وهو مثل « الرحمن على العرش استوى » تماما فما قيل فيها يقال هنا - وتقولون كذلك انه تعالى يأتي « في ظلل من الغمام » ـ ان مذهبكم هذا يقول ان ذوات ربنا وأمكنته لا تتناهى أبدا ـ وكل هذه وما ماثلها ـ وهو كثير ـ محالات لا يقول بها أحد لكننا لو تقيدنا بالظاهر من النصوص الشرعية صرنا اليها ولا بد ـ اذن لابد من الاستنارة بنور العقل في مثل هذه النصوص ـ وجناية كبرى على الدين أن يهدر العقل ولا يلتفت الى ارشاده في فهم كتاب ربنا وسنة رسوله ـ كل هذا نقوله توضيحا للمقام في ذاته وتساهلا مع هؤلاء الناس ـ ولو أنا ضيقنا عليهم ودققنا في محاسبتهم ما تكلمنا معهم كلمة واحدة ولرأيناهم أحقر من أن يخاطبوا ـ وهل يستحق أن يخاطب من يقول ان ربنا يجلس أحد خلقه بجانبه على العرش يوم القيامة ـ ولعل جاهلا محبا للرسول صلى الله عليه وسلم يقول هذا غاية التعظيم لنبينا صلى الله عليه وسلم فماذا فيه ـ فأقول ولكنه غاية في نقص ربنا عز وجل ـ وهل من العقل أن يعظم المؤمن الرسول بما يكون نقصا في رب الرسول ـ وهل ذلك الا كما كان من قوم سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم في تعظيمه ـ ومن من العقلاء يرضى أن يصف ربه بأنه قاعد

على العرش قعودا يشاركه ويقارنه و يجاوره فيه أحـد خلقه ـ ان هذ القران لا يرضاه العـقل أبدا ـ والذى تصرح به هذه المقالة أن هؤلاء الناس يختارون أن ربنا عزوجـل لا يساوى العرش ولا يزيد عنه واما ينقص عنه فانه لولا نقصه هذا عندهم ماوجد فيه مكان يجلس فيه النبى صلى الله عليه وسلم ـ وانى لأرى أن المناقشه مع هؤلاء الناس بعد نقل هذا النص عنهم ـ لامعنى لها لاثبات أنهم يعتقدون الجسمية فى ربنا عزوجل ـ وبهذا النص أيضاً أصبحنا لانستغرب اعتقادهم أن ربنا تعالى جسم ذاهب فى الـكبر والثقل الى حد لاتتصوره العقول وكيف تتصور العقول كبر وثقل جسم لايحمله العرش الا بصعوبة وعناء لدرجة أنه يئط به و يصوت حقيقة كما يئط و يصوت رحل الرا كب تحته ـ والعرش معلوم أن السماوات والأرض بالنسبة له شئ صغير فان الجميع فى جوفه يحيط بها كما يحيط الظرف الكبير بالمظروف الصغير ـ وانى أزيد القارئ بصيرة بعقيدة هؤلاء الناس فأترك هذا التلميذ وأعرج على شيخه الذى لا يعجبه حتى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولا سـيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ـ وفى نظره أن كل الأمة فى نهاية الغباوة والجهل والبعد عن الحق ـ فليسمع القارئ نقلا عنـه فى غاية الضخامة يليق بمشيخته ومركزه العظيم قال لاحياه الله ولا بياه « ان الله أعظم من كل شئ وأكبر من كل خلق ولم يحمله العرش عظما ولا قوة ولا حملة العرش حملوه بقوتهم ولا استقلوا

بعرشه ولكن حملوه بقدرته وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم حتى لقنوا لاحول ولاقوه الا بالله فاستقلوا به بقدرة الله وارادته ولولا ذلك مااستقل به العرش ولا الحملة ولا السماوات ولا الأرض ولا من فيهن ولوشاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم أكبر من السماوات السبع والأرضين السبع) انتهى هذا الكلام بعجره وبجره ـ ولعل القارئ تعتريه دهشة ويسارع اليه انكار أن هذا النقل صادر عن ذلك الرجل المسكين ـ وانى أحول بينه وبين ذلك الانكار وأرجوه أن يراجع المجلد الخامس والعشرين من كتاب « الكواكب الدراري » لابن ذكنون الحنبلي وهو محفوظ بالخزانة الظاهرية بدمشق ـ ليراه بعينه هناك بالحرف الواحد ضمن كتاب رد به هذا المسكين على كتاب « أساس التقديس » للفخر الرازى ومن ذلك المجلد نقله بحاثة معروف وبخطه الكريم وصل الى ـ وهذا النص لايبقى معه في نفس أى انسان أدنى شك في أن القوم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن ربنا جالس على العرش حقيقة بدرجة من الثقل جعلت حملة العرش على قوتهم الهائلة ـ لايقوون على حمل العرش وفوقه ربهم تعالى ـ ولشدة ذلك الثقل وقعوا وقوعا جثوا فيه على ركبهم ولم يستطيعوا أن يقفوا معتدلين حتى لقنهم فائدة لاحول ولا قوة الا بالله فلما لقنوها أمكنهم أن يحملوه

عزوجـل ولولا تلك الفائدة لعجز العالم كله سماواته وأرضه وانسه وجنه
وملائكته أن يحملوه ـ تنزه وتقدس ـ و بينما أنت فى غيبوبة لدهشتك
من عظم وثقل هذا الجسم ـ اذ تسمع هذا الرجل يقول انه تعالى لو شاء
لاستقر على ظهر بعوضة فتستقل به وتحمله بقدرته ولطف ربوبيته ـ هكذا
يقول هذا الرجل المسكين ـ وهو كلام يصح أن يكون وصفا لمعنى خيالى
روائى لاوصفا لرب العالمين تعالى وتقدس ـ وانى لأظن أن الوثنى يسمو
بصنمه عن هذا الخيال المضحك ولست أتصور استعدادا يصدر عنه مثل
هذا التخريف الا استعداد قدماء المصريين وتصوراتهم فى آلهتهم أما
استعداد اسلامي فمعاذ الله ثم معاذ الله أن يخطر على فكره مثل هذه
السخريات ـ ولسنا نترك هذا الكلام ـ على فساده ـ دون أن نناقشه
فنقول ـ الانسان اذا ادعي أن الله يتصف بكذا وجب عليه أن يثبت
ذلك بدليل شرعي لامغمز فيه فهل من هذا الوادي قول هذا الرجـل
(وقد بلغنا الخ) حتى ينهض لاثبات ما وصف ربه به ـ لقد بحثت ثم بحثت
عن أصل يصح أن يرجع اليه كلام هذا الرجل فلم أجد شيأ أبدا لا فى كلام
ربنا ولا فى سنة نبيه ـ لكنى رأيت كلمات نقلت عن وهب بن منبه الرجل
المعروف بأنه أخبارى يكثر من حكاية الاسرائيليات التى غالبها لا أصل له ـ
تلك الكلمات تحكي عجز الملائكة عن حمل العرش حتى لقنوا الحوقلة وبقي
النقل السابق ليس بموجود أصلا مع تلك الكلمات فهى من زيادات هذا

الرجل من غير شك ليروج بدعته ـ ومع ذلك لايحل للرجل العالم أن يحكى مثل هذا الكلام الاسرائيلى سندا لحكم فرعى أو عقيدة ما دام لاسند له من كلام الله ولا كلام رسوله بل كلام الله وكلام رسوله ينكرانه كل الانكار ـ ثم كيف لوشاء حملته بعوضة مع تلك المبالغات الهائلة في وصف ضخامته وعظمه وثقله تعالى ـ ومع العلم بأن البعوضة من أصغر ماخلق الله عزوجل ـ هل يتغير ذلك الجسم من تلك الحال الى صغر وخفة يناسبان البعوضة ـ أم يبقى على ماهو عليه ومع ذلك تقله البعوضة وتقوى على حمله وهو عليها ـ ان اخترتم الأول لزمكم أن ربنا يتغير ولو قام التغير بربنا كان حادثا بلا نزاع وهو محال ـ وان اخترتم الثانى لزم محال أيضاً فان العقل لايستطيع أن يتصور جرما في نهاية الصغر والضعف يقوى ويتسع لحمل جرم فى نهاية الكبر والثقل وكل منهما على ماهو عليه ـ وقد عد ربنا ان دخول الجمل فى سم الخياط محال وعلق على وجوده دخول الكفار الجنة واذا كان هذا محالا فكيف لايكون ألف ألف محال ذلك الذى تختارونه ـ واذا بطل هذا وذاك كان هذا الكلام المنقول عن هذا الرجل المسكين كاذبا لامحالة لايجوز أن ينسب الى الشرائع السماوية الحكيمة ولا أن يتصف بمضمونه مولانا الذي يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص ـ وبهذا النقل الكاذب الخاطئ الجنونى أصبحنا لانتردد في أن القوم لايرون من النقص فى شئ أن يعتقدوا أن ربنا عزوجل جسم محدود

وأنه قاعد وجالس على العرش قعودنا على أمكنتنا وأن العرش يقله بصعوبة وعناء لحد أنه يئط ويصوت من ثقله عليه لايكنون فى هذا ولا يعنون معنى مجازيا وأنه قادر على أن يتشكل من صغر الى كبر وبالعكس وعلى أن يثقل ويخف ويتقل ـ وهذه صفات لانعرفها لربنا عزوجل الذى خلق السماوات والأرض ومافيهما واليه المصير وانما هى صفات لرب آخر تخيله هؤلاء الناس ورضوه ربا لأنفسهم وقد عالجناهم بما تقدم لينبذوا هذا الاله الذي بتلك الصفات الخيالية الخرافية فان تبعونا فالخير أرادوا لأنفسهم والا فليهنأوا به ثم ليهنأوا به ـ وأما نحن فنكفر باله هذا وصفه ولا نرضاه ربا لنا أبدا لانا أعقل من أن نرضى لأنفسنا فضيحة كهذه لانظن أن الرجل العاقل يفتضح بأكبر منها ـ نعم نحن نرفع قدر العقل عن أن يلتفت لمثل هذا الا بغاية الاحتقار والازدراء والمقت ولا نصدق ابدا أن يصغى لمثل هذا وصفا للخالق المعبود الا المجانين وأشباه المجانين ـ وذلك مانسجله هنا ونلفت له نظر قوم افتتنوا بهذا الرجل المسكين وتلميذه ذلك افتتانا أداهم لأن يقلدوهما التقليد الأعمى مع الاستماتة في حبهما والدفاع عنهما وتقديسهما التقديس الذى يندهش له كل من يعرفه ـ وبينما تراهم مع هذين الرجلين هكذا اذتراهم يرمون الائمة الأربعة بكل داهية ويرونهم أحقر من أن يقلدوا وهم الذين وقع الاجماع من الأمة كلها من عهدهم لليوم على أنهم جديرون بقيادتها فى دينها ولذلك اتبعتهم

بما فيها من أولياء وعلماء وملوك وسواهم من فضلاء العالم ــ وانما تبعوهم
ذلك الاتباع لما كانوا عليه من فرط الورع وسعة العلم ونفوذ البصيرة وقوم
هذا حالهم لاينتظر لمقلدهم الماشى وراءهم الا الوصول الى مايريد من
السعادة في الدنيا والآخرة ــ نعم نرجو أن يلتفت أولئك المفتتنون بهذين
الرجلين الى مايحكى عنهما ــ من سوء عقيدة ماسمع الدهر بمثلها ــ ومن يد
خائنة تعودت أن تكذب وتدلس وتنقل الحقائق الدينية على غير وجهها
وفي غير مواضعها ــ وقد تقدمت (عينة) من ذلك عن هذا الرجل وعن
تلميذه ــ ومن رجل خاطئة لايعجبها السير الا في سبل من لايوثق بهم
من أهل الأهواء والأغراض كما وصف الشيخ بذلك بعض معاصريه وكما نراه
بأعيننا في كتبهما ــ ولذلك تجدها اذا استدلا نقلا كل ماهب ودب مما لاحقيقة
له تعرف ولا أصل له يوصف يهيم في أوديته هذا الرجل وتلميذه ويوردان
منه مايوردان وهما يعلمان قدره وقيمته جريا وراء بدعتهما هذه التى
استحكمت ثم استحكمت فى نفوسهما حتى أفقدتهما العقل والرشد نعوذ بالله
من البدع وآثارها ــ ومن قلوب تتأجج وتلتهب غضبا على كل عباد الله
خصوصا أحباب ربنا عزوجل ــ ذلك فوق ماالرجلان عليه من طيش
ورعونة لاحد لها ــ ومن نظر فى كتبهما نظرة بسيطة تيقن ما أقول ــ
وأناس هذا حالهم ــ من الظلم الفاحش أن يكونوا أئمة لخير أمة أخرجت للناس ــ
ولعله لايتردد عاقل فى أن من يمشى وراء أمثال هؤلاء هالك ثم هالك ــ

وعجبنا العاجب أن يتعصب هؤلاء الناس لهذه المقالة الجنونية لحد أن يختصوها بقسط عظيم من عنايتهم حتى ألفوا فيها المؤلفات التى لا تحصى ـ واقد بلغت الجرأة بأحد هؤلاء المساكين أن يسمى رسالة ألفها في هذا الموضوع باسم (اثبات الحد لله عزوجل وأنه قاعد وجالس على العرش) ـ هذا العنوان وحده كاف وفوق الكفاية لاثبات المقصود ـ فانظر كيف لم يستح مؤلفها (محمود بن أبي القاسم الدشتى) من قوله (قاعد وجالس) لا تكفيه مادة الجلوس وحدها ولا مادة القعود وحدها وفي كل منهما غنية ولكنه جمع بينهما بصيغة اسم الفاعل التى تفهم التلبس بالفعل ـ ليفيد غرضه مؤكدا ثم مؤكدا بعد تأكيده كل التأكيد بقوله (اثبات الحد لله عز وجل) فانه تعالى اذا كان محدودا كان جسما فى مكان قاعدا وجالسا أوعلى أى شكل كان لأن المحدود هكذا يكون ـ لقد رفع هذا الرجل برقع الحياء عن وجهه وجاهر بما عليه القوم مجاهرة لاتحتمل صرفا ولا تأويلا ـ واذا كان اسم الرسالة فقط يفيد كل ماذكرنا فماذا عسي أن ينتظره القارئ من المعنون له ومعلوم أن هذه الطائفة اذا كتب أحدهم فى مثل هذه المعانى أجلب بخيله ورجله لا يرقب الا ولا ذمة لا في رب ولا في مربوب بجولات لاحد لنشاطه فيها لا تحلو الا في ميادين البدع والمبتدعين ـ وانا بعد هذا البيان نجزم أن القارئ صار في امكانه أن يقيد هؤلاء الناس بقيد من حديد ويجمع أيديهم الى أعناقهم ثم يقبض على تلك الاعناق بأصابع

من فولاذ قبضا لايستطيعون الافلات منه بحال فليحرص عليه ثم ليحرص فانه مما انفردت به هذه الرسالة والله تعالى أعلم

« الاجتهاد والمجتهدون »

الاجتهاد المطلق مقام رفيع كم حاول الوصول اليه فحول فقضوا وهم فى هذه المحاولة ــ ومحبوب شاسع المزار كم سافرت اليه أبطال على نجائب الهمم عشرات السنين قطعوا فيها من شعابه وأوديته ومهامهه الكثير ثم الكثير ثم كلت رواحلهم وانقطعت دون أن يدنوا منه ــ وميدان كم هم أن ينزل فيه فرسان ولكنهم بعد أن رأوا أهل السباق فيه رجعوا مقتنعين أنهم ليسوا من رجال هذا الميدان ــ وانما كان الاجتهاد بهذه المنزلة لأنه قيادة عامة للأمة بأسرها ــ ويزيد فى خطورة هذه القيادة أنها مقيدة بسلوك سبيل واحد هو سبيل الله تعالى الذى أرسل لبيانه لنا سيد أنبيائه ﷺ ــ فالقائم فى هذا المقام ينوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيان تلك السبيل للناس كافة لايشتبه على أي سالك منزل من منازلها الا وهو مستعد للارشاد اليه ــ وهذه الطريق بجانبها سبل أخرى لايحصيها العد ولا يأتى عليها البيان . وما من سبيل منها الا وعلى رأسه مالا يعد ولايحصي من شياطين الانس والجن يدعون اليه السالكين مؤكدين كل التأكيد أنه سبيل الله تعالى حقا أما سبيل الله الذى هو سبيله بلا ريب فيقولون فيه بلهجة جازمة انه سبيل مضلة مهلكة لايلاقي سالكها الا الردي ولا ينتهى

الا الى الشقاء ولا يقولون ذلك مطلق قول بل يردفونه ببراهين عدد المطر كل برهان له مقدماته ونتائجه والمضلون لايعدمون من الأباطيل مايسمونه براهين ويدندنون ثم يدندنون حول مقدماتها ونتائجها ليقوموا حق القيام بوظائفهم الاغوائية - ولاشك أن قيادة ذلك شأنها في منتهى الدقة والخطر - كيف لا والمتصدر لها وراءه أمة لم تسر خلفه خطوة الا بعد أن فهمت منه أن الطريق الذى كلف الله عباده بسلوكه هو عين الطريق الذي يسلكه ومعنى هذا أنه ان ضل ضلت وراءه كل الأمة وقد علمت أن المضلات كثيرة ثم كثيرة وأي خطر فوق هذا الخطر - وان شئت فقل فى تحديد هذا القائد ان الامة لم تسر خلفه الا بعد أن سمعت حكمه بأن كل ما يستنبطه من الأحكام التكليفية ويدعو العالم الى العمل به دل عليه الكتاب والسنة جزئية جزئية وهو حكم لايجرؤ على اصداره الا رجل مخصوص - رجل عرف من اللغة العربية لغة ونحوا وبيانا ما يكفى لفهم الكتاب والسنة فهما يعتمد على الوضع العربي والذوق العربي فان من لايعرف ذلك من العربية لايؤمن عليه أن يفسر الآية أو الحديث بمعنى فى ناحية والمعنى الذى وضع له اللفظ أو التركيب في ناحية أخرى - ويحيط مع هذا بآيات وأحاديث الأحكام لئلا يفزع الى القياس فى حادثة وفى الكتاب أو السنة مايدل على حكمها ومعلوم أنه لاقياس مع وجود النص - وليس ذلك فقط الذي يعرفه بل يضيف اليه معرفة الناسخ والمنسوخ من

الكتاب والسنة لأنه ان لم يعرف ذلك ـ ربما أصدر حكما تكليفيا يتعب الناس فى امتثاله وهو منسوخ ـ ولا يقتصر على هذا بل يحيط معه علما بما أجمع عليه العلماء قبله لئلا يقود الناس الى مايخالف اجماع العلماء ـ وما الى هذا ينتهى مايحيط به بل عليه مع ذلك أن يعلم من فن الحديث دراية مايميز به صحيح الحديث من حسنه من ضعيفه من موضوعه لئلا يختلط عليه الأمر فيحكم فى الحل والحرمة مستندا الى حديث ضعيف أو يجيز أن يعمل الناس بالموضوع وكل لا يجوز ـ ولا يقف الأمر في علمه الى هذا الحد بل وعليه أن يعلم من علم الأصول أصول الفقه مابه يفهم متى يفيد الدليـل الوجوب أو الحرمة أو الندب أو الكراهة أو الاباحة ـ وماذا يعمل لو تعارض دليـلان نص وظاهر أو ظاهر ومحكم أو محكم ومفسر أو منطوق ومفهوم أو عام وخاص أو مطلق ومقيد أو كانا من واد واحد واتفقا قوة وضعفا أو اختلفا ـ وكيف يتصرف اذا لم يجد في حادثة كتابا ولا سنة ولا اجماعا ـ وما الى ذلك مما لو جهله المتصدر للقيادة لم يدر أين سبيل الله وأين غيرها من السبل المضلة ـ كل هذا يجب أن يحيط به علما من يقول انى مجتهد ـ ولهذا كله أساس يجب أن يكون قبل الكل وهو الاعتقاد السليم البعيد عن البدعة والاستقامة التى تتكسر عندها سهام المطاعن دون أن تخدشها بخدش لأن المجتهد قدوة في عمله واعتقاده فاذا كان مبتدعا قاد الناس الى بدعته فأوردهم المهالك واذا كان غير مستقيم شكك الناس فى أمانته فنبذوه أو

مشى وراءه فى اعوجاجه من لايشك فأورده الموارد وعلي كل لايصلح أن يكون اماما ـ ولما أن الاجتهاد هـذا طول سبيله ووعورته لم يكن في عهد النبوة ـ وهو أبرك الأعصار وأجلها ـ من هـذا الطراز العالى الا أفراد وقد كانوا عربا نزل القرآن وجاءت السـنة بلغتهم مع ما كانوا عليه من الذكاء الفطرى الذي ما سمع الدهر بمثله ثم مع ذلك ما كانوا يحتاجون لعلم كثير مما ذكرنا فانهـم كانوا يتلقون الشريعة من مهبطها صـلى الله عليه وسلم يسمعونها من لسانه الكريم تخرج من بين شفتيه الكريمتـين لامعلم ولاأستاذ لهم غيره صلى الله عليه وسلم وهو سيد المعلمين واستاذ الاساتذة ـ ولاتنس أنهم كانوا فى كل آناتهم مغمورون في بركاته لاتغرب عنهم شمس أنواره ولا ينقطع مدد أسراره عنهم لحظة من ليل أو نهار ـ ومع كل هذا لم يصل منهم رضى الله عنهم الى هذا المقام مقام الاجتهاد المطلق الا أفراد قليلون كما قلنا لك وكان باقيهم رضى الله عنهم يرجعون في مهامهم اليه صلى الله عليه وسلم أو الى أولئك العلماء الذين نشير اليهم فانهم كانوا يفتون بما تعلموه منه وهو بعد لم ينتقل الى الرفيق الأعلى ﷺ ـ وأحب أن يعلم القاريء مع ماتقدم أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا فى حفظهم بدرجة نعقلها نحن اليوم ومن يعقل أن رجـلا تقرأ عليه قصيدة طويلة مرة واحـدة فيحفظها ويعيدها كما سمعها ويبلغ حفظه هنا الى درجة أن يعيدها مرة ثانية من آخر بيت منها راجعا الى أول بيت حتى

ينتهي منها كما كان من سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما — علم سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ هذه القوة فيهم فكان اذا حدثهم الحديث لايعيده أكثر من مرتين وتكون قراءته أمامهم ثلاث مرات كافية لأن يحفظه أضعفهم حفظا و بذلك يكون قد تأكد كل التأكد عند الباقين۔ هذا نقوله عن أناس حضروا الاسلام في عنفوان شبابه ونهاية فتوته وكانوا في فرح به لا يحد فانهم كانوا قبله فى ظلمات بعضها فوق بعض عميا لا يبصرون صما لا يسمعون بكما لا يتكلمون كالأنعام بل هم أضل — كانوا ينحتون الحجارة بأيديهم يزيلون منها ما يزيلون و يبقون ما يبقون و يصورونها كما يشاءون ثم يضعونها بأيديهم حيث اشتهوا ثم يقبلون بعد ذلك كله على عبادتها كما يعبد المؤمنون رب العالمين — وقد كانت تنزل بهم أعوام شديدة يجوعون فيها فاذا آلمهم مس الجوع بادروا الى آلهة صنعوها من عجوة فتناولوها وأكلوها ثم تبرزوها وقد كانوا قبل ذلك بلحيظات يعبدونها و يعتقدون أنها آلهة حقا تضر وتنفع وتعطى و تمنع — فلما أشرقت عليهم شمس الاسلام تبددت عنهم ظلمات ذلك الكفر الشنيع وانفتحت أبصارهم و بصائرهم وأسماعهم وانفتقت ألسنتهم فسمعوا الحق ونطقوا به وكما يشاء نظروا وعملوا۔ فلو كان هذا المقام مقام الاجتهاد هينا لينا لكان كل هؤلاء الناس على الذروة العليا من الاجتهاد بكل تلك العوامل التى وصفناها لك — وحيث كانوا مع الاجتهاد كما ذكرنا دل ذلك على أن مقام الاجتهاد بلغ من

الاستعصاء والتمنع أسمي مايتصوره المتصورون في مقامات البشر ـ وزاد هذا المعنى وضوحا ما كان في القرن الثاني والثالث بعد ذلك القرن الكريم قرن الصحابة رضى الله عنهم فان السواد الأعظم في هذين القرنين الجليلين كان في درجة التقليد الصرف ولم يتجاوز هذه الدرجة الا أفراد أيضاً وتستطيع أن تعالل وصول أولئك الأفراد الى هذا المقام ـ بعنى لا يجعله غريبا عند النفس ـ ذلك المعنى هو قربهم رضى الله عنهم من عهده المبارك صلى الله عليه وسلم ـ وتشرفهم برؤية أصحابه رضى الله عنهم أوبرؤية من رآهم أو رأى من رأي من رآهم وقد شهد رسول الله ﷺ بأن هذه القرون الثلاثة خير القرون وأخبر أن الله تعالى يفتح للجيش فيه واحد في الطبقة الرابعة من أصحابه ببركة ذلك الواحد فاذا اختصت هذه القرون الثلاثة بقيادة الخلق وهداتهم وأئمتهم كان هذا الاختصاص في غاية الظهور ـ واني أرجو وأشدد ـ في الرجاء أن يكون هذا المعنى على بال القارئ فان به كان أولئك الناس ـ أئمة القرن الثاني والثالث ـ أعاجيب وكيف لا وأنت تسمع الليث بن سعد رضي الله عنه يخبر عن نفسه أنه لو أملى مايحفظ لوقر مركبا ـ وتسمع الامام الشافعي رضى الله عنه يخبر أنه كتب حمل بعير عن الامام محمد بن الحسن صاحب الامام أبي حنيفة رضى الله عنهما في أول قدمة قدمها عليه وهو بالضرورة لايكتب الا مايحفظ واذا كان هذا حفظه عن واحد ممن لقيهم فكيف

بحفظه عن الباقين وهم كثيرون وكثيرون ـ ونسمع أن الامام أحمدبن
حنبل رضي الله عنه كان يحفظ ألف ألف حديث بأسانيدها ويعرف كيف
يقول فى أى واحد من أى اسناد من كل تلك الأسانيد ويعرف لماذا
قال فيه ماقال ـ نعم كانت صدورهم سجلات لايمحى مانقش فيها ماحيوا
ولذلك كان أحدهم يحدثك اليوم الحديث وتسأله عنه بعد عشرين سنة
فيسرده لك دون أن ينقص أويزيد حرفا واحدا وأنت لليوم وبعد اليوم
تقرأ أن أصح الاسانيد ما كان عن مالك عن نافع عن ابن عمر لقوة ضبط
سيدنا مالك رضي الله عنه وحفظه ـ وساعد على هذا الحفظ الباهر أن همهم
كان واحدا هو هم آخرتهم لم تتشتت أفكارهم فى أودية الدنيا ولم تتفرق
أهواؤهم في شعابها وسباسبها وما كان لها فى أنفسهم أى مقدار ـ ان أقبلت
استخدموها فيما يرضى ربهم ـ كما تسمع أن سيدنا مالكا رضي الله عنه قاسم
سيدنا الامام الشافعى ماله مرات ـ وكما تسمع أن سيدنا الامام الشافعى
عاد من اليمن الى مكة بمال جزيل فضرب خيمة جلس فيها قبل دخول
البلد وفرق كل ما كان معه وقام وليس بيده من كل ذلك المال درهم ولا
دينار ـ وكما تسمع ان أبا حنيفة رأي رجلا يتواري منه فناداه وسأله لماذا هذا
التوارى فأخبره أنه مدين له بعشرة آلاف درهم من زمن بعيد فقال
سبحان الله بلغ بك هذا الأمر الى هذا الحد جعلتك فى حل فاجعلنى
في حل مادخل في قلبك متى كنت تلقانى ـ وكان رضي الله عنه ينفق

مثل مايصرف على نفسه وأهله أما ما كان يواسى به تلاميذه من المال فهذا كان الذي لايحصى ـ وسيق الى سيدنا مالك رضى الله عنه مال كثير رآه سيدنا الامام الشافعى رضى الله عنه وكأنه أعجبه فوهبه له كله ـ وان أدبرت عنهم لاتلتفت اليها قلوبهم ولهذا نسمع أن سيدنا أحمد رضى الله عنه كان يمكث الأيام محبوسا في بيته لايجد من اللباس مايصلح لخروجه ومع ذلك كانت تهدي اليه الهدايا الكثيرة فيردها فلاموه على ذلك فقال رضى الله عنه انها أيام قلائل وتنقضى ـ وأناس هذا شأنهم فى الاقبال على الآخرة وعدم الاهتمام بالدنيا ليس بغريب أن يصلوا الى ذلك المقام الرفيع ـ خصوصا اذا كانوا من الورع كما نسمع عن أبي حنيفة رضى الله عنه أنه تحرج عن الاستظلال بظل حائط مدينه لئلا يكون ذلك نفعا جره قرضه ـ ومن تعظيم العلم الى مثل مانسمع عن سيدنا مالك من أنه كان اذا أراد أن يجلس للتحديث يغتسل ويتعطر ويلبس أحسن ثيابه ويسرح لحيته ويتجمل ثم يجلس ـ ولدغته يوما عقرب ست عشرة مرة وهو يحدث فكان يتغير ويتلوي ولايقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له ـ ومن الخوف من الله تعالى الى مثل مانسمع عن سيدنا أحمد بن حنبل أنه بال في طست وهو مريض مرض الموت دما عبيطا فرأي ذلك الدم طبيب فقال فى سيدنا أحمد رضى الله عنه هذا رجل فتت الحزن كبده ـ وكما تسمع أن الامام أباحنيفة رضى الله عنه دعى للقضاء فامتنع عنه فضرب

في ذلك بالسياط وحبس بل ومات فى الحبس ولما سمع اشفاق المشفقين عليه وهم يقولون ماذا عليه لو ولى واتق هذه السياط قال سياط الدنيا ولا سياط الآخرة ـ ومن الاجتهاد فى طاعة الله تعالى كما تسمع أن الامام أبا حنيفة رضي الله عنه مكث يصلى الفجر بوضوء العشاء أربعين أو خمسين سنة ـ وكما تسمع أن الامام أحمد كان يصلى فى اليوم والليلة ثلثمائة ركعة فلما مرض وتقدمت سنه كان يصلى مائة وخمسين ركعة ـ وكما يقول عنه من عاشره مارأيته أفطر الا يوما واحدا أفطر واحتجم ـ وكما تسمع أن أبا حنيفة حج أكثر من خمسين حجة ـ ومن الامانة فى العلم بدرجة لا تخطر على أفكارنا اليوم كما تسمع عن سيدنا مالك رضى الله عنه يقول انى لا أفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة ما اتفق لى فيها رأى الى الآن ويقول ـ من أحب أن يجيب عن كل مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار وكيف يكون خلاصه فى الآخرة ثم يجيب ـ ويقول ـ أدركنا أهل العلم ببلدنا وان أحدهم اذا سئل عن المسألة كأنما الموت أشرف عليه ـ ويقول ـ اني أخاف أن يكون لى من المسائل يوم أى يوم ـ ومن التقلل فى المآكل والمشارب والزهد فيها الى مثل مايقول الامام الشافعى رضى الله عنه ماشبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة ـ وكما تسمع سيدنا مالكا يقول ـ لقد استحييت من ربي من كثرة ما أتردد على بيت الخلاء

وكان لايذهب اليه الا كل يومين مرة ـ وليس ما ذكر هو كل ما ساعد
أولئك الأفراد على وصولهم الى مقام الاجتهاد بل كان هناك مساعد أي
مساعد فوق ما ذكر وهو أن الوقت كان وقت تبليغ الشريعة فكان تعلم
العلم وتعليمه هو الميدان الذي يتسابق فيه الرجال اذ ذاك حتى كان الواحد
يسافر لأجل التثبت من حديث واحد شهراً كاملا ـ ولما أن الوقت كما
قلنا كان ادعاء العلم اذ ذاك محفوفا بالخطر فلا يفتح أحد فاه بتلك الدعوى
الا وتجد هداة الأمة كلهم اتجاه اليه ينظرون ـ أمحق هو فيما يدعي ـ ثقة
فيما يقول ـ ضابط لما يسمع ـ يستند فى علمه الى ركن شديد اذا استند
اليه لاينهار به ـ قدوة حسنة فى عقيدته وعمله ـ فاذا توفرت فيه هذه
الشروط تركوه والناس يبلغهم ما يبلغ وأمنوا الناس من ناحيته ـ وان
كان غير ذلك أخذوا على يديه وسدوا عليه المسالك ورفعوا أصواتهم أينما
كانوا يبينون للناس قدره ويحذرونهم من أخذ دينهم عنه ـ ومن لم تصل
اليهم أصواتهم لبعدهم أولأنهم لم يوجدوا بعد ـ كتبوا اليهم الرسائل
والكتب التى بين أيدينا منها اليوم السرج النيرة والشموس التى تغرب شموس
السماء وهى لاتغرب ـ وكم بهذه الكتب افتضح ناس وانفض الناس من
حول أناس ـ وهل تنتظر منهم فوق أنهم ربما قالوا فى الرجل انه لايساوى
بعرة ـ ولقد وصل تحريهم ومبالغتهم فى وضع كل انسان فى منزلته اللائقة
به أن بعضهم ذهب الى أن سيدنا أحمد بن حنبل رضى الله عنه محدث

فقط وليس من فريق الفقهاء المجتهدين وبين يدينا اليوم كتاب (الانتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضى الله عنهم) وهو للحافظ ابن عبدالبر رضى الله عنه وهو بالضرورة لم يقل ماقال الا تابعا لرجال في ذلك العهد ــ هذا قولهم في أحمد بن حنبل ومعروف من هو أحمد بين الأئمة الاسلامية من عصره لليوم وهو الذي يقول فيه بعض معاصريه ـ كأنه جمع له علم الأولين والآخرين ـ هذه الرقابة العلمية الشديدة على رجال ذلك العصر جعلت أولئك الأفراد يبالغون ثم يبالغون في استيفاء ما به لاتمسهم تلك الرقابة ــ والرقابة العليا عندهم رقابة ربهم عزوجل كما تقدم مايفهمك ذلك لهذا وصلوا الى ما أرادوا وفوق ما أرادوا ـ ولو أردنا أن ننقل للقارئ ثناء رجال العلم وحملة الشريعة في ذلك العصر على هؤلاء الأئمة لطال بنا الكلام ثم طال فان كل امام من هؤلاء الأئمة المشهورين ألف في فضله مؤلفات تعد بالمجلدات فماذا عسى أن ننقل ــ غربت شمس أولئك الأئمة رضي الله عنهم ولم تر الدنيا شمس امام بعدهم لهذا اليوم – نعم انتهت تلك القرون وانتهى من تسمع وصفهم من رجالها ولم نسمع بعدهم أن رجلا ادعى الاجتهاد المطلق وسمح أن تتبعه الأمة كما تتبع أولئك الأئمة رضى الله عنهم لم نسمع ذلك وان كان جاء بعدهم الكثير الطيب من العلماء الذين تطيش عقولنا اليوم لسماع وصفهم حفظا ودينا ــ والسر في أنهم لم يدعوا تلك الدعوي ــ مع فضلهم ذلك ـ أنهم كانوا علماء حقا

عرفوا قدر أنفسهم وقدر أولئك الأئمة فرأوا الفرق بينهما كبيرا والبون بعيدا فوقفوا عندحدهم ــ ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ــ وهكذا أنت لاتجد انسانا يعرف قدر انسان آخر الا اذا كان من واديه فى علمه ــ فالمرء اذا كان عالما يعرف قدر العالم ــ واذا كان سياسيا يعرف قدرالسياسى ــ واذا كان حائكا يعرف قدر الحائك ــ واذا كان صائغا يعرف قدر الصائغ ــ واذا كان حداداً يعرف قدر الحداد ــ واذا كان زارعا يعرف قدر الزارع ــ وهكذا والجاهل لا يعرف قدر العالم ــ ولا الحائك يعرف قدر السياسى ــ ولا الزارع يعرف قدرالحداد ــ ولا الحداد يعرف قدالصائغ ــ وهكذا ــ وبارك الله فى العلم ولا حرمنا منه فهو أبو كل الفضائل ومنه ماتتكلم فيه ــ ولقد حدثت الجلال السيوطى نفسه رضى الله عنه أن يدعى هذه الدعوى دعوى الاجتهاد المطلق ــ فما كادت تسمع من فمه حتى قامت عليه قيامة العلماء فى عصره وعرفوه قدره فسكت ووقف عند حده والسيوطى من يعلم القارئ حفظا واتقانا وهذه كتبه تملأ الدنيا فى كل فن من فنون العلم ــ بل أين السيوطى ممن سبقه من علماء الاسلام فى احاطتهم ويقظتهم ومع ذلك لم تسمح أنفسهم أن يدعوا تلك الدعوي كما قلنا لك ولو ادعوها ما قبلت منهم ولكانوا جاهلين بمقدار الامامة ــ هذا امام الحرمين رضى الله عنه يقول ماتكلمت فى علم الكلام كلمة حتى حفظت من كلام القاضى أبى بكر وحده اثنى عشر ألف ورقة يعنى أربعا وعشرين ألف

صحيفة هذا يحفظه في فن واحد عن رجل واحد من أهل ذلك الفن ـ وقال يوما لتلميذه الامام الغزالي يافقيه فتغير وجه الغزالي كأنه يستصغر هذا الوصف على نفسه فقال له افتح هذا البيت ففتح مكانا فوجده مملوءا بالكتب فقال له ما قيل لي يافقيه حتى أتيت على هذه الكتب كلها يمني حفظا ـ وكان امام الحرمين رضي الله عنه رجلا شافعيا عاديا يتبع الامام الشافعي رضى الله عنه لم يدع الاجتهاد وهو يحفظ كتبا تملأ بيتا ـ وهذا السرخسي يكتب كتابه المبسوط ـ وهو ثلاثون جزأ ـ وكان اذ ذاك فى السجن ليس له من المراجع الاصدره وهو اذا استدل لمذهبه أو لمخالفه نقلا أوعقلا يخيل لك أن الجبل يزول ودليله لايزول ثم يؤيد مذهبه بخدش مذهب مخالفه بما لاتشك معه أن مذهبه هو الحق ـ ولا تعجب أيها القارئ فان هذا الرجل نقل مترجموه أنه كان يحفظ اثنى عشر ألف كراس أى أربعين ألفا ومائتى ألف صحيفة اذا كان الكراس عشر ورقات ـ هـذا حفظ السرخسي الذى مات فى القرن الخامس كامام الحرمين المتقـدم ومع ذلك لم يدع الاجتهاد بل كان رجلا حنفيا يتبع الامام أباحنيفة رضى الله عنه ـ واذا كان ذلك حفظ هؤلاء المتأخرين فما ظنك بحفظ تلاميذ الأئمة كالامام محمد الذي تقدم أن الشافعي رضى الله عنه كتب عنه حمل بعير فى أول قدمة قدمها عليه ـ ولا يظن أن الشافعي كتب كل ماعنده من العلم ـ ومن راجع طبقات العلماء وأخبارهم وقف من هذا على العجب العجاب ـ وقد يقع ما نحكى

غريبا فى نفوس أهل هـذه الأزمنة نظرا لفشو الجهل وضـعف القوة الحافظة ــ مات العلماء رضى الله عنهم ومات معهم علمهم وخلف من بعدهم خلف ليسوافى العلم هناولا هناك رأوا فى أنفسهم أنهم علماء وأنهم أئمة لخلو الزمان عن الأئمة ــ وكان أول هؤلاء على مانعلم رجل رأيناه نحن بأعيننا كان عند نفسه فى السماء وعند غـيره من عارفيه لا يزيد عن أمثاله قدر نقير ان لم ينقص عنهم وبين يدينا اليوم بعضهم — هون هذا الرجل مقام الاجتهاد وتـكلم فى سهولتـه ثم تكلم حتى أوقع في نفوس سامعيه أن هذا الاجتهاد فى امكان كل انسان ثم مات وكلامه يرن فى آذان من حضروا دروسه وتغلغل في قلوبهم ما فقهوه عنه فتقدم أناس منهم الى تلك الدعوى بقلوب كلها جرأة واستهانة بما تقـدموا اليه ثم تبع هؤلاء آخرون ثم سار وراءهم آخرون وصار كل واحـد من هؤلاء داعية الى الاجتهاد المطلق حتى غـدوا اليوم لا يحصرون فأصبحنا وقد امتلأ القطر من هذا الصنف المجتهدين كل مجتهد منهم عند نفسه دونه بمراحل أكبر امام تقدم ــ ولذلك تراهم ينظرون الى الأئمة رضوان الله عليهم بعين الاحتقار والازدراء ويتكلمون فيهم بما يفهم سامعهم أن أولئك الأئمة كانوا السبب الوحيد فى كل بلية نزلت وتنزل بالمسلمين ويصرحون بأن هذا الشر لا ينقطع مادام من مقلدى هؤلاء الأئمة فرد واحد على ظهر الأرض ــ أما اذا تحققت فكرتهم ــ وهم المصلحون العظماء عند أنفسهم ــ بأن

سلك وراءهم طريق الاجتهاد المطلق كل انسان ولو لم ير مجلس علم طول
حياته ــ فحينئذ تتغير الحال و ينقلب الشر خيرا والبؤس يسارا والخمول
نباهة والشقاء سعادة والضعف قوة ــ ومن جالس هؤلاء الناس وقرأ
ما يكتبون تعجب كل العجب من حملاتهم المتتالية على كل من لم يوافقهم
على منهجهم ــ وهم يسيرون في هذا وراء استاذهم الذى نشير اليه فانه
هكذا كان ــ وكان هو يسير وراء رجلين سبقاه من عصور الى ما كان
يدعى وهما الرجلان اللذان عنهما كتبنا ما كتبنا فى الفصل السابق ــ
ولقد كان لسانهما فيهذا الميدان ميدان الطعن على الأئمة ورميهم بالدواهى
والطعن على مقلديهم ــ أحد من السيف وأحر من الجمر فورث هذا عنهما
من أعجباه و وراءهما سار ــ ان هذا وحده يدل دلالة قاطعة على أن هذه
الطائفة من أولها الى آخرها ليست من الامامة بل ولا من العلم في شى
فان كتاب ربنا عزوجل يقول (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين
آمنوا) هذه الآية نقرأها ونسمعها كل يوم وهى تعلمنا العطف والرحمة على
جميع المؤمنين موجودين أولحقوا بربهم و تطلب منا أن نسأل ربنا عزوجل
أن يرزقنا الصفاء والمحبة لهم وتخص من سبقونا بالايمان أحياء أوأمواتا
فتدعونا أن نطلب لهم منه عزوجل المغفرة كما نطلبها لأنفسنا ــ ومن سبقنا
من الأئمة والعلماء بعدهم لم يستثنهم الله تعالى ممن سبقونا بالايمان بل ورد

النهى عن سب الأموات لما أنهم أفضوا الى ربهم بل ورد أن الساعة
لاتقوم حتى يلعن آخر هذه الأمة أولها ـ ومن هذا نعلم أن الطعن على
أولئك الأئمة ومن تبعهم من العلماء ممن سبقونا بالايمان مخالف لصريح
القرآن وخروج على وصاياه وآية من آيات القيامة ـ خفت هذه الدعوي
دعوى الاجتهاد على أولئك الناس لأنها لاتكلفهم رجوعا الى نتائج
أبحاث أئمة هذا الدين من عهد نزوله لليوم فان ذلك التحقيق لايطيقونه
ولايصبرون عليه وانما الذي يعشقونه ويموتون فى هواه دعوي الاجتهاد
لأنها دعوى لذيذة طنانة رنانة فتجد أحدهم يقول مايقول ويعمل مايعمل
فاذا سألته على أى مذهب ماتقول وتفعل أجابك بكل تبجح (على مذهب
الكتاب والسنة) وهو جواب يتضمن أن القوم يجزمون أن مذاهب الأئمة
الأربعة خارجة عن الكتاب والسنة وما خرج عنهما ضلال مبين بلا
تردد فتكون الأمة من صدرها الأول لليوم فى ضلال مبين ـ ويتضمن أن
الكتاب والسنة بقيا بلافهم لهذا الزمان القريب من الساعة ـ فلما تشرف
الوجود بحضراتهم انكشفت خفاياهما وتبينت للناس أحكامهما ـ وأنا
لا أدري ماقيمة هذا البيان وقد مضى من الأمة شبابها وأطيب حياتها
وأصبحت فى دور الهرم والشيخوخة ـ ان أمة تمكث خمسين وثلاثمائة وألف
سنة تتخبط فى دياجير الجهالات والضلالات وكتاب ربها وسنة نبيها بينها
لاتفهمهما ولا تعمل بهما ـ لايشك عاقل أنها أحط أمة رآها هذا الوجود

هذا قدر هذه الأمة المحمدية عند حضرات مجتهدى زماننا لكنا نرى كتاب ربنا وسنة نبينا يصرحان بخلاف ذلك يصرحان بأن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ـ فليقل لنا حضرات مجتهدينا من نصدق أنصدقهم هم أم نصدق ربنا ورسول ربنا ـ انى أخشي أن يطعن أولئك الناس على مانذكر من الكتاب والسنة لأن مذهبهم فى الحكم على الدليل بالصحة وبالبطلان موافقته لهواهم أومخالفته فان وافق صح وان كان موضوعاً ـ وان خالف كان باطلا وان كان فى أعلى درجات الصحة ـ والذي يظهر أن هؤلاء الناس لايغضبون ممن يقول لهم يا أبناء الضالين والضالات لأن الذي يحكم على أمة بأسرها حتى أئمتها وعلمائها لايغضب لذكر أفراد آبائه بالضلال وانا نترك هذا لهم ـ وهل يدرى القارئ من هم أولئك المجتهدون ـ الجواب أنهم طبقات مختلفة من أمثال الذين أخبرناك عنهم فيما تقدم من أنهم وصلوا الى حد أنهم أنكروا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وبعضهم أضاف الى انكار السنة ما فعله بالكتاب وهو في حكم انكاره وقد سبق مايفهمك ذلك ـ وبعضهم يرى الحديث الذى لامطعن فى صحته فيقول ـ اذا لم يفهمه أو خالف هواه ـ هو صحيح السند ولكن معناه غير صحيح ـ و بعضهم يرى أن الدين كله أن تكون مع الناس ظريفا لطيفا توافقهم على كل مايهوون ولا تغضب أحدا منهم ولو بكلمة حق تقولها له ـ اذا فعلت ذلك كنت لابأس عليك حتى ولو

تركت الايمان ـ و بعضهم يري أن الاجتهاد والاستنباط هو شتم هـذه الأمة وطعنها فى الصميم من دينها وعرضها وهذا الوصف وان كان عاما فى جميع هذه الطوائف ـ له مزيد اختصاص بهذا البعض ـ وبين يدينا اليوم مجتهدة روى لها أحـد العلماء ـ وهو موجود الآن ـ حادثة تدل على غيرة سيدنا عمر رضي الله عنـه على النساء فكان جوابها على تلك الرواية قولها (عمر هذا رجـل منحط) هذا حكمها الذى أداها اليـه اجتهادها وعلة هذا الحكم أنه غيور وهذه العلة موجودة عنـد كل مؤمن وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وكذلك ربنا غيور ولهذا حرم الفواحش كما أخبر عنه نبينا ﷺ فماذا تقول حضرة المجتهدة ـ وانى أعجب من هذه المجتهدة التى تقول هذا فى سـيدنا عمر الذي لم ير هذا الوجود كثيراً من أمثاله بعـد النبيين اتفقت على ذلك كلمة الموافق والمخالف وكيف يكون منحطا يا حضرة المجتهدة من لو سلك فجا لهابه الشيطان وسلك فجا غير فجه كما نطق به الحديث الصحيح ـ ومن أحكام هذه المجتهدة التى استنبطتها وجاهرت بها أن الرجل لا يجوز له أن يباشر المرأة بعد أن تحمل لأن باقى الحيوانات هكذا متى حملت الأنثي لا يقربها الذكر وهو حكم من مواقف العقول فلنتركه لما دون أي خدش ـ ولا أكثر علي حضرة القارئ من ذكر أصناف هؤلاء المجتهدين وطبقاتهم واختـلاف نحلهم ومذاهبهم ومبلغ ما وصلوا اليه من البعـد عن الدين الحق بسبب

اجتهادهم ذلك ـ ولعل القارئ يعجب من أن يكونوا مجتهدين وبعيدين عن الحق لا تعجب أيها المؤمن فان ذلك نتيجة لازمة لاجتهاد لا يعتمد على مقدماته ـ اجتهاد كل مقدماته الدعاوى الطويلة العريضة التى لا أساس لها الا الجهل الطويل العريض والغرور الذى لانهاية له وصفاقة الوجه التي لا تؤثر فيها القوارع مهما قست ـ وهل لاجتهاد هذا قدره الا نتيجة واحدة هى الضلال والاضلال ـ والذي جرأ هؤلاء القوم على تلك الدعوى عدم تقديرهم لمقدماتها أونتائجها التقدير المناسب لها ـ وقد سبق أن قلنا ان درجات أى طائفة انما يعرفها أفراد هذه الطائفة لا الغريبون منها ـ فلجهل أولئك الناس بالاجتهاد والمجتهدين ادعوا ما ادعوا ـ وكيف يعد من طبقات أهل العلم من لا يجيز أن يقلد أحد أحدا ويوجب على الكافة أن يجتهدوا ـ وان غضبوا وأبوا الا أن يحسبوا أنفسهم من العلماء فليتحملوا اذن الحكم عليهم بأنهم ينكرون قول الله عز وجل (واذا جاءهم أمر من الأمن والخوف أذاعوا به ولوردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ـ وقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) ـ فان الآية الأولى تخبر أن العقول تتفاوت وهناك أمور تخفى على عقول ولا تخفى على عقول ولامت قوما على مباشرتهم ما يخفى عليهم وجهه وأفهمتهم أن الواجب كان أن يردوا ذلك الى من لا يخفى عليه فكان يرشدهم الى الحق فيه بعلمه وهذا غير ما يقولون ـ

والآية الثانية تقول فى وضوح ان من الناس من تعرض له أحوال لا يعلمها وحينئذ عليه أن يسأل من يعلمها وهذا كذلك غير مايقولون ـ ثم الحس يشهد لما نقول فانك تري في الناس من تعالجه الأيام والشهور بل وطول حياته على أن يحفظ آية من القرآن بل أن يخرج حرفا واحدا من مخرجه فلا يستطيع فكيف يكون مثل هذا مجتهدا

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

كيف يعرف من العلم شيأ من ينكر السنة وهي بيان الكتاب كما يقول عز وجل (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) ـ وهل عرفنا نحن كثيرا مما كلفنا به الا بالسنة فقد جاء الكتاب بتكاليف ألفاظها الدالة عليها تدل لغة على غيرها فلولا أن السنة بينت أن الشرع نقلها من معانيها اللغوية الى تلك المعاني الشرعية لكنا ممتثلين التكاليف بتجرد فهمنا تلك المعاني اللغوية والعمل بما تتضمنه ـ كيف يعرف من العلم شيأ بل كيف يعقل من ينكر الكتاب مع السنة وهو لا يكون مجتهدا الا بالكتاب والسنة بل كيف يكون هذا مؤمنا ـ وان شاء القارئ أن يلمس جهل هؤلاء الأدعياء فليقل لأي واحد منهم ـ أرجوك أن تخبرني عن فلان المحدث ماقيمته بين المحدثين ـ أوأحب أن أسمع من لفظك المبارك حديثا نبويا واحدا بسنده ـ أو أكون شاكرا لو أفهمتني من أي واد من أودية الدلالة دلالة هذا الدليل على هذا الحكم وتذكر له حكما ودليله ـ أو أقبل يدك

الكريمة لو علمتنى كيف أعمل اذا حدثت حادثة وليس لها فى الكتاب والسنة دليل صريح ولكنى وجدت فيهما أشباها كل شبيه له حكم غير حكم الأشباه الأخرى - لوقلت له هذا وما أشبهه من المسائل التى لاتخفى على طلبة العلم فضلا عن الأئمة المجتهدين مادرى ماتقول فضلا عن أن يجيب عنه - ولقد أردت يوما أن أسبر غور امام كبير من هؤلاء الائمة فسألته عن مسألة ذات وجهين أحدهما معتقده فسارع الى الجواب بما يعتقد فرأيت أن أخدش هذا الجواب خدشا بسيطا فما كان أسرعه الى الرجوع عن جوابه بمجرد سماعه هذا الخدش فضحكت وقلت هكذا يكون الاجتهاد وهكذا يكون المجتهدون - كيف يصدق القارئ أن يكون أمثال من ذكرنا مجتهدين لاسيما اذا علم أنهم - من الاعوجاج بحيث ان بعضهم لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ولا يحج ولا يتهيب أمورا أخرى لها المكان الأول فى باب الرذيلة وفى فطنة القارئ ما يغنينا عن تلويث القلم فى تلك القاذورات - ومن الجرأة على الفتوى بدرجة أنك لو وجهت الى أجهلهم أدق مسألة لأجاب عنها فورا بدون تأمل ولا روية وربما لو وجهت هذه المسألة الى سيدنا جبريل وميكائيل واسرافيل وجميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم العلماء الراسخين لوقفوا أمامها موقف الحيرة والارتباك - ومن الرغبة فى الدنيا والشغل بها بحيث لا يتحرك الا لها وربما كانت صلاته وصيامه لها ان كان يصلى ويصوم - ومن الغفلة عن

الله تعالى بدرجة أنهم بادروا الى ما يحكي عنهم من التلاعب بدين الله تعالى لما أيقنوا أنهم لا يعاقبون على اعتقاد يعتقدونه ولو كان كفرا بالله تعالى ولا على قول يقولونه ولو كان يعتدي على الأديان كلها ولا على فعل يفعلونه ولو بلغ ما بلغ في باب الرذيلة متى غفلت عنهم عين القانون الأرضى وكانوا فى مأمن من يده — وتيقنوا مع هذا أن العصر لا يزن كل من ينتسب الى العلم بميزان النقد الصريح العادل كما كان فى العصور التي قدمنا لك الكلام عنها — ولو شابه هذا العصر تلك العصور فيما نقول لكان حمى العلم أعز من أن يحوم حوله الأدعياء وكيف يحومون وفي ذلك تكون فضيحتهم التى تدخل معهم القبور — ومن سوء الاعتقاد بالحالة التى حكينا لك بعضها فيما مضى — ومن الخيانة في العلم والتصرف في نصوصه بدرجة لا يعلم القارئ مداها الا اذا تناول كتابا من كتبهم وقرأه من أوله الى آخره وراجع نقوله مراجعة دقيقة — لا أقول انهم يتصرفون فى ألفاظ النصوص فقط بل أقول ان تصرفهم فى معانى ما ينقلون أشد وأشمل — هؤلاء هم مجتهدو زماننا الذين ملأوا الأرض تشنيعا على من يخالفهم ويحذر الجهلة عن التقليد — انى أصرح — وألقى تصريحى هذا بين أظهر الناس جميعا اليوم — أنى منضم الى علماء الأمة الذين قرروا أن باب الاجتهاد مغلق وأؤكد أنا أنه صفح في هذه الأزمنة بصفائح من فولاذ وكيف لا أصرح بذلك وأنا أرى بعينى آثار اعتقاد جواز الاجتهاد تفسد فى الأرض فسادا

عظيما - ليس معنى ماأقول أن العقل يمنع أن يوجد مجتهد في هذه الاعصار أو فيما بعدها ان هذا لانقوله ولا نري من يقوله فى زمرة العقلاء لأنه حكم على الله تعالى بأنه منع فضله عن الناس وسد عليهم هذا الباب أو أنه ليس بقادر أن يخلق من فيه استعداد الاجتهاد - والأول حكم يحتاج الى وحى ولا وحي والثانى كفر بالله عز وجل - ولكنى رأيت فسادا عظيما ينفذ الى الناس فى دينهم ودنياهم فسددت كاسد غيرى ينبوعه ونحت استعدادات ضعيفة شرحت آثارها وحكمت أن هذه استعدادات غير استعدادات الاجتهاد - هذا كل ما فعلته وهو ظاهر كل الظهور من كلامى لمن يتأمله ولا يطير بالكلمة يسمعها دون أن يدري من أين جاءت والى أى واد ذهبت - ولست أرى علاجا لهذه الحالة التى تمثل الفوضى فى العلم أقوى وأظهر تمثيل الا رقابة دينية فعالة تقف كل انسان عند حده وان لم يقف أدبته الأدب الرادع الذى يجعله عبرة لغيره بعد أن يفيده هو الفائدة المقصودة - وأما ترك الناس هكذا حبلهم على غاربهم يقول كل امرئ فى دين الله ما يقول ويفعل مايفعل فهذا مالا يرضاه عقل ولادين - نعم لقد وصلت الفوضى العلمية اليوم الى حالة لاتحتمل وكيف تحتمل وقد وصلت الى حد أن أكبر عالم دينى لو تكلم بكلمة دينية ينصح بها عباد الله وله عليها ماله من الأدلة والبراهين من كتاب ربه وسنة رسوله - لقام عليه مالا يحصى من الشبان والشابات فسلقوه بألسنة حداد ومزقوا عرضه تمزيقا وجعلوه فى الجهل

الوحيد الفريد وكثير من هؤلاء يعجز عن قراءة آية واحدة وقد لا يكون رأى في حياته حديثا واحدا وكثير منهم ثم كثير لم يقف موقف عبودية لربه في كل حياته ولكنه الجهل والغرور وعدم الحياء وعدم الرادع وحسبنا الله ونعم الوكيل. لقد أزري هؤلاء الجهلة بالمجتهدين وفضحوا العلماء وهونوا الدين وصغروا من شأنه وجعلوا الاجتهاد ألعوبة من الألاعيب وأضحوكة من الأضاحيك وما كنت أظن أن تصل الجرأة على الاجتهاد في دين الله الى هذا الحد ولولا اني أري هؤلاء الناس بعيني ماصدقت مايقال عنهم - وكيف أصدق أن يكون من طبقات المجتهدين الذين نتيجة اجتهادهم دين تدين به الأمة - انسان ربما لم ير بعينه كتابا في الشريعة ولاجلس طول حياته بين يدي عالم ديني جلسة واحدة وكل الذي عنده من المؤهلات وجه صفيق لايعرف الحياء ولا يعرفه الحياء وكلما كان أقوي في هذه الصفة يكون الامام الأكبر الأشهر - وان شئت أن تري وتلمس الفرق بين مجتهدينا وأهل الاجتهاد الصحيح فقل - مجتهدنا ربما لم يركع لله تعالى ركعة واحدة لافرضا ولانفلا وأبو حنيفه يصلي الفجر بوضوء العشاء أربعين أوخمسين سنه وكل ليله ركوع وسجود - مجتهدنا قد لا يكون صام يوما واحدا حتى ولا في رمضان وابن حنبل يصوم الدهر كله لايفطر الا يوما واحدا احتجم فيه - مجتهدنا لا يقف عند سؤال مهما دق واستعصى ومالك بن أنس يقف في مسألة واحدة بضع

عشرة سنة لم يتفق له فيها رأى قاطع ـ ويسئل عن ثمان وأربعين مسألة فيقول لا أدرى فى اثنين وثلاثين منها ـ ويبكى من الفتاوى والمسائل ويقول (انى أخاف أن يكون لى من المسائل يوم أى يوم) ـ مجتهدنا قد لا يكون رأى حديثا واحدا ويغضب كل الغضب ممن يتردد في الاعتراف باجتهاده وابن حنبل يحفظ ألف ألف حديث كما يقول أبو زرعة أولم يكتب سوادا في بياض الاحفظه كما قال ابنه عبدالله ومع ذلك لايتفق معاصروه على أنه من الفقهاء المجتهدين ـ مجتهدنا لوحفظ حديثا فى الصباح ينساه في المساء لغلبة النسيان على الأذهان في هذا العصر غلبة لاتكاد تتصور وما كان يعرف هذا النسيان فى علماء السلف فضلا عن مجتهديهم بل كانت صدورهم سجلات لاتمتد يد المحو الى ما بها بحال ولذلك حفظ الله بهم الدين ولو كانوا مثلنا ما وصل الينا من دين الله كلمة وقد سبق التنبيه على ذلك ـ مجتهدنا يقبل قدميك لوعرفته بعظيم أى عظيم من عظماء الدنيا ولووهما ولو كان من أكفر الكفار ويرى صحبة هذا والتردد اليه شرفا لا يقاربه شرف وأهل الاجتهاد الحق يفرون من خلفاء المسلمين ويخطبون لتلك الصحبة فيأبون كل الاباء بل يكرهون اكراها عليها ويهانون رجاء أن يقدموا عليها فيتحملون مايهددون به وهو أليم ولا يسمحون أن يصحبوا أولئك الخلفاء وقد سبق مايدل على ذلك ـ مجتهدنا يتهالك على المال ولا يبالى من أى واد وصل اليه ولو من الربا أو من مال

يتيم وأبو حنيفة يتحرج من ظل حائط مدينه ـ مجتهدنا ربما اقتحم أخطر موبقة وهو يضحك لجرأته على الله بل ربما كفر بالله العظيم وخلع ربقة الاسلام من عنقه فاهما أنه بذلك وصل الى ذروة مقام الاجتهاد وأئمة المسلمين في بكاء وعويل وانتحاب خوفا ووجلا على أنفسهم أن يكونوا مغضوبا عليهم من ربهم مع أنهم فى طاعته ليلا ونهارا طول حياتهم لا تستثنى واحدا منهم . سمع الشافعى حديثا فى الرقائق فأغمي عليه حتى قيل مات ـ وسمع قارئا يقرأ قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فتغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم خضعت لك قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين الهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك ـ وكان أبو حنيفة يصلى بالليل ويبكى من خشية ربه حتى يرحمه جيرانه من كثرة بكائه ـ وتقدم أن سيدنا مالكا كان يبكى ويقول (نى أخاف أن يكون لى من المسائل يوم أي يوم) وتقدم أن سيدنا أحمد بلغ به الخوف من الله تعالى الى أنه كان يبول الدم ـ مجتهدنا اذا ذكر عنده أئمة الاسلام ـ لسانه السيف البتار فى أعراضهم يمزقها تمزيقا وتراه عند ذكر أولئك الهداة كأن حمى أخذته وأذهبت عقله وجعلته يهذى بما لا يعى وما كان أئمة الاسلام هكذا فهذا الامام الشافعى رضى الله عنه لما زار أبا حنيفة في قبره

ترك القنوت فى صلاة الصبح أدبا معه ولم ير من المناسب أن يجاهر هذا الامام الأعظم بالخلاف على مرأي منه ومسمع - وكان يتوسل به الى الله تعالى اعتقادا منه أنه جدير بذلك - وقال فيه - الناس كلهم عيال على أبي حنيفه فى الفقه - وقال فى سيدنا مالك رضي الله عنه - اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب - وقال فى سيدنا أحمد بن حنبل تلميذه - خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد - وقال فيه أيضاً

قالوا يزورك أحمد وتزوره   قلت الفضائل لاتفارق منزله

ان زارنى فبفضله أو زرته   فلفضله فالفضل في الحالين له

وقال لمن معه قميص أحمد أما القميص فلا أفجعك فيه ولكن بله وارفع الى الماء لأتبرك به - ويقول مالك يخاطب الشافعى لما سأله عن أبي حنيفة (رأيت رجلا لوناظرك في هذه السارية أن تكون ذهبا لقام بحجته) - وقاسم الشافعى ماله غير مرة اعترافا بفضله - واستحسن الشافعى مالا عظيما أهدى اليه فأهداه له كله فكلمه أن يبقى له دابة يركبها فأبى واستعظم أن يركب دابة على تربة وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدميه - وقال أحمد فى الامام الشافعى (كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فهل لهذين من خلف) - مجتهدنا ربما كان لم يحفظ من القرآن آية واحدة واذا كان يحفظه كله فقد لا يكون تجاوز عدد الأصابع فى ختمه

وابو حنيفه يحصى ما قرأه من ختمات القرآن فيكون سبعة آلاف ختمة ـ هذه مقارنات ذكرناها مرغمين وفى النفس ما فيها من ذكرها وانما ذكرناها لينفذ منها القارئ الى حيث يرى أين أئمة زماننا من أئمة الاسلام حقا ولولا مقام البيان ما سمحت نفسى بهذه المقارنة أبدا ومن يرضي أن تقرن الملائكة بالكلاب ـ ثم أرجو أن يفهم المطلع الكريم أني انما كتبت هذا الفصل أبين به مقام الاجتهاد لمن لعله لايعرف قدره ـ ورجاء أن يراه بعض أولئك المجتهدين المساكين ويكون به بقية من الشعور الحى فيحس بأنه ترك الجادة وركب الصعب وحاد عن سبيل الأمان الى سبيل الخطر المحقق ـ وكى يطلع عليه أناس ربما وقع في نفوسهم استحسان ما يقوله أولئك المفتونون ـ وقياما بما يجب على العلماء ـ من محاربة البدع اذا رفعت رأسها ـ ومن القضاء على الباطل اذا حاول أن يلبس ثوب الحق ـ وأي قيمة للعالم اذا لم يقف في وجه العادين حدود الله اللاعبين بدينه الخارجين على أوليائه وأحبابه . ان العالم جندى من جنود الله عزوجل بل هو القائد الأعلى لجنود الله فان كل مؤمن جندى من جنود الله ـ ولعله لايخالفنى أحد فى أن من العار العظيم والفضيحة التى لاتدانيها فضيحة أن يؤتى الاسلام فى صميمه وقادة حراسه ينظرون مكتوفة أيديهم مقيدة أرجلهم خرسا ألسنتهم لايبدون ولايعيدون ـ ان الجهاد باللسان والقلم فى هذا العصر ليس بأقل من الجهاد بالسنان فى زمن

الجهاد ـ واني لأري واجبا على العلماء خصوصا في هذا الزمن الذى تموج فيه الفتن كموج البحر ـ أن يبينوا للناس ما يرضاه ر بنا من أعمالهم وما لايرضاه حتي لايبقى لأحد عذر في جهل ماهو عليه من بلايا ورزايا دينية ودنيوية ـ وانى أعود فأقول لاولئك الزاعمين أنهم مجتهدون اذا لم تعلموا أيها الناس ما تفعلون فاعلموا أنكم تلعبون بالنار أو تمزحون مع البحر وهو غضبان فان كان لكم طاقة بالنار أو بالبحر فتمادوا على ما أنتم عليه والا فالفرار الفرار من هذا الموقف المذهل والله تعالى أعلم

« الشفاعة »

نحن فى زمن اتسع فيه الخرق على الراقع فانك لاتلتفت الى طائفة لتفهمها قدر بعدها عن الجادة الا وتبدولك طائفة أخرى أشد بعدا عن المنهج القويم والكل فى حاجة قصوي لأن تعالجهم حتى تقتلع من أنفسهم شجرة الزيغ التى أضلتهم وتغرس مكانها شجرة الرشاد والارشاد ـ نعم لقد أصبحنا في زمن سادت فيه الفوضى فى العقائد لدرجة أن يجهر بالكفر الصريح من كان بالأمس يتظاهر بالايمان الصادق دون أن يجد من يلتفت اليه التفات استغراب وانكار ـ وسادت فيه الفوضى فى العلم لحد أن أصبحت دفة الارشاد بأيدي شبان وشابات لو سألت أحدهم عن ربه لحار كيف يقول ومع هذا لو تكلم أكبر رأس من هداة الخلق العلماء بكلمة ينفر بها عن رذيلة أو يحرض على فضيلة ـ لقام عليه أولئك الأولاد

. كالكلاب الضارية فنهشوا عرضه نهشا ورموه بالدواهي مما جعل العلماء اليوم
فى انكماش ـ حطموا أقلامهم وخزنوا ألسنتهم في افواههم وتركوا الأمر
لاولئك المفسدين يفتحون كل يوم من أبواب جهنم ما يفتحون ويدعون
الناس الى ولوجها واقتحامها ويتهافت الناس تهافتا الى مايدعونهم اليه
حتى أصبح العمل كالعلم والاعتقاد فوضى لايميز صحيحه من فاسده ولا
يفكر أحد فى ايقاف هذا الأمر عند حد وحسبنا الله ونعم الوكيل ـ
نقول هذا لمناسبة أنا بصدد أن نتكلم مع كثير من الناس أنكروا
حتى الشفاعة يوم القيامة وهي ثابتة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ
فانكارها عجيب ثم عجيب اذا صدر من رجل يؤمن بالله واليوم الآخر ـ
أما مايثبتها من كتاب الله تعالى فآيات كثيرة منها قوله تعالى ـ من
ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ـ ومنها قوله عزوجل ـ ولا يشفعون الا لمن
ارتضى » ومنها قوله تعالى « وكم من ملك فى السموات لا تغنى
شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » ـ فان الآية
الأولى تثبت شفاعة باذنه عزوجل والآية الثانية تثبت الشفاعة لمن ارتضى
ربنا أن يشفع فيه والآية الثالثة كالأولى ثبت شافعين باذنه عزوجل ـ
وقيد هذا الاذن يفهم أن الشفاعات كرامات يكرم الله تعالى بها من يشاء
من عباده ليرى الخلق فضله عنده ـ لاأنها كشفاعاتنا هنا يصمم أحدنا
على الأمر ينفذه من العقوبات فيكلمه شفيع من أرباب الوجاهة أن

ينقض ما أبرم فيكون ذلك فى الحال يحمله على ذلك رهبة منه أو رغبة فيه ـ ان الشفاعات التى بهذا المعنى مستحيلة على ربنا عزوجل لأنه اذا أراد شيأ نفذه ولو عارض فيه جميع العالمين وأرادوا أن لا ينفذ ـ والرغبة والرهبة لا يتصف بهما لأنه رب كل شئ القادر القهار ـ وأما مايثبت الشفاعة من السنة الصحيحة فكثير ـ من ذلك حديث الشفاعة المشهور الذي اتفق على روايته البخاري ومسلم ورواه غيرهما وفيه (ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع) ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » رواه الترمذي عن سيدنا جابر وقال سيدنا جابر (من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة) وكذلك روى هذا الحديث النسائى وأبو داود وأحمد وابن حبان والحاكم ـ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء والعلماء والشهداء) رواه ابن ماجه ـ ومن ذلك قوله ﷺ (يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته) ـ ومن ذلك مارواه الشيخان وغيرهما من حديث طويل (ثم يضرب الجسر (الصراط) على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة (تشبيه ظاهر) تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين

وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس (مدفوع) في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسى بيده مامن أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين

لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم (وجوههم) على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقه والى ركبته ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها مما أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا ـ وكان أبو سعيد راوى الحديث يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما ـ فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها أقواما لم يعملوا خيرا قط (يعنى غير الايمان) قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة (بذور البقل) في حميل السيل (ما يحمله السيل من الطين) ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض فقالوا يارسول الله كأنك ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول

ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يارب وما أفضل من هذا فيقول أحل عليكم رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا) هذا بعض ماورد من كتاب ربنا وسنة نبينا يدل على أن الشفاعة واقعة يوم القيامة فمن لم يؤمن بها مع كل هذا فانى أبشره بما بشره به رسول الله ﷺ فيما رواه ابن منيع وهو قوله عليه الصلاة والسلام « شفاعتى يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها » وقد عد العلماء هذا الحديث من المتواتر فمن أحب أن لاتناله الشفاعة من المؤمنين فليتماد على انكاره الشفاعة ومن أحب أن تناله فليصدق ربه ونبيه ويوافق أهل السنة والجماعة فى الاعتراف بها ليكون معهم من الناجين ـ ولعل كل ماقدمنا من الموضوعات وضح كل الوضوح بما أوردنا عليه من دلائل قاطعة وبراهين ساطعة لايمكن لمن أوتى نصيبا من الفهم أن ينكر شيأ منها الا اذا كان لايبالى بضحك الناس عليه اذا أنكر الشمس وهى فى كبد السماء ـ وانى تعمدت ان أوضحه كما رأي القارئ ليعرفه أناس لايعرفون ـ وليصحح به أناس آخرون عقائد فى نفوسهم تنافيه ـ وليراه أناس غير هؤلاء وهؤلاء غلاظ شداد على المؤمنين فيتبين لهم أن لاحق لهم فى تلك الغلظة والشدة فيخففوا من وطأتهم الثقيلة ـ وليزداد به الذين امنوا ايمانا فانه ان شاء الله نور يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم والله تعالى أعلم

خاتمة الطبع

تم ولله الحمد طبع هذا السفر البديع الذى ليس في استطاعتنا نحن أن نقدره قدره كما ينبغى له ـ وانما نحيل حضرات القراء الأفاضل الى الكلمة التى صدرت فيه من علماء الاسلام وهداة العالم فانه يجد فيها مايفهمه حق الفهم قيمة الكتاب ـ أونحن نختصر الطريق ونرجو من يريد أن يحقق الأمر بنفسه ـ أن ينظر فى أي مبحث من مباحث الكتاب ونحن موقنون بعد ذلك أنه حاكم عليه ولا بد بأنه الكتاب الذى ماصدر مثله ولاقريب منه في موضوعه ـ كيف لا وقد أبان ماتصدى له بيانا لم يسع العلماء بعد مارأوه الا أن يلقبوا مؤلفه حفظه الله ـ بملك البيان ـ وادارة المطبعة تقدمه للأمة بيد السرور مفتخرة بأنه من مشرقها بزغ بدره الساطع وانتشر نوره الوهاج ـ وقد وافق تمام طبعه بمطبعتنا دار احياء الكتب العربية مصححا بمعرفة لجنة التصحيح بها ـ اليوم السابع من شهر جمادي الثانية من شهور سنة ١٣٥٠ خمسين وثلثمائة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم آمين

(فهرست كتاب غوث العباد ببيان الرشاد)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

يحسن حضرة القارئ اذا صحح نسخته على ما يأتي فانه صواب ما عثرنا
عليه من الأخطاء بعد تمام طبع الكتاب

صحيفة	سطر	
٩	٣	لنبينا
١٥	١٥	يتشبث
١٧	٧	فاستيقظ
٣٣	١	تتق الله
٤٥	٦	اشيما
٤٦	١٤	عليهمالرأوا
٤٨	٩	وهو يرى
٥٠	١٣	بعرجته. رواه ابن عبدالبر فى الاستيعاب
٥٠	١٨	عنه. رواه البخارى
٦٣	١١	يتبرك
٦٥	١١	نفسه
٦٧	١٦	هذا هو السر
٧٠	٩	السنى وابن ماجه
٧١	٢	تعالى أو حق السائلين حرمتهم ومنزلتهم التي جعلها تعالى لهم وهو معنى لا تخطئ اذا جعلته متعينا
٧٤	١٧	ولا يأباها
٩٥	٨	وان تجدوا
١٢٥	٢٤	استوى
١٢٨	١	هذا
١٣٢	١١	الاحتقار
١٤٦	٨	قدر الصانع
١٥١	١٨	ولو بكلمة
١٥٣	١٣	أوالخوف — هذا من آية فليصلح وجوبا
١٦٠	١٣	انى أخاف
١٦٠	١٦	[illegible]